إلن ج. هوايت

قصة الرَّجاء

لمحةٌ عن الوقت الذي لن يكون فيه للمعاناة وُجود بالمرة

قصة الرَّجاء

إلِن ج. هوايت

الشَّرْق الأَوْسَط
للنَّـشْر

بَيْرُوت - لُبْنَان

© ٢٠١٦، جميع الحقوق محفوظة لدار المحيط الهادئ للطباعة والنشر
تمت طباعة هذا الكتاب في اتحاد الشرق الأوسط وشمال أفريقيا
جميع الحقوق محفوظة

يتحمل المؤلفون المسؤولية الكاملة عن دقة كل الحقائق
والاقتباسات الواردة بهذا الكتاب.

ترجمة: أشرف فوزي
مراجعة: باسم فارجو
التصميم الفني وتنسيق الصفحات: ماريسا فيريرا
موارد تصميم الغلاف مأخوذة من: shutterstock.com ©

ما لم يرد خلاف ذلك، فإن كافة مراجع الكتاب المقدس
مأخوذة من النسخة العربية للكتاب المقدس
الإصدار الثامن
الطبعة الثانية ٢٠١٠
النسخة العربية للكتاب المقدس، ترجمة فان دايك
© ١٩٩٩ جميع حقوق الطبع محفوظة

المحتويات

	المُقدِّمة	٥
١	التَّمرُّد	٦
٢	الخليقة	١١
٣	المأساة	١٤
٤	الحل	٢٣
٥	التَّحرير	٢٧
٦	الشّريعة	٣٦
٧	المُخلِّص (المُنقِذ)	٤٩
٨	الذَّبيحة	٥٨
٩	الإنتصار	٧٤
١٠	القوَّة	٨٠
١١	الارتِداد	٨٦
١٢	المَقْدِس	٩٨
١٣	الخلاص	١٠١
١٤	إصدار الحُكم	١٠٩
١٥	البداية الجديدة	١١٨

المُقدِّمة

لماذا أصبَحَ عالمنا بهذا القدر من الفساد؟ لماذا توجد المُعاناة؟ من أين أتى الشَّر؟ هل له من نهاية؟

أسئلة مثل هذه تؤرق كثيرين من أصحاب الفكر. العلْمُ لا يُقدِّم لهم جوابًا، والفلَسفة لها تفسيراتها المُتضاربة. فأين نجد الحَقيقة؟

المادَّة في هذا الكتاب مختارة من كتاب أكبر هو «قصَّة الفداء». المؤلِّفة، إلن ج. هوايت صُنفت كواحدة من أشهر ١٠٠ (مائة) من المؤلفين الأمريكيين الأكثر تميُّزًا على مرِّ الزمن وذلك حسب مجلة سَميثسونيان Smithsonian في عدد خاص نُشر في ربيع ٢٠١٥. لقد تُرْجمَت أعمالها إلى أكثر من ١٦٠ (مائة وستين) لغة، أكثر من مؤلفات أية امرأة أخرى في أي مكان. ملايين الأشخاص استفادوا من بَصيرتها وإلهامها.

قصة الرجاء — فرصة لك لكي تنال الفائدة أيضًا.

الفصل ١

التَّمرُّد

هذا الفصل يعتمد على ما ورد في سفر إشعياء ١٤: ١٢-١٤؛
حزقيال ٢٨: ١٢-١٧؛ رؤيا يوحنا ١٢: ٧-٩.

كان لوسيفر في السماء قبل تمرُّده ملاكًا ساميًا ومتعاليًا، لم يَفُقْهُ في الكرامة سوى المسيح ابن اللّٰه. كان وجهه لطيفًا، كباقي الملائكة، ويُشرق بالسعادة. كان جبينه عاليًا وجبهته عريضة مُظهرًا قوَّة في الذكاء. كان تكوينه الجسماني كامل الجمال، وفي سلوكه النُّبل والهيبة. أضاء وجهه بنور خاص أشاع حوله أكثر إشراقًا وجمالاً مما كان حول الملائكة الآخرين؛ إلا أنّ المسيح، ابن اللّٰه، كان فوق كل محافل الملائكة. فقد كان المسيح واحدًا مع الآب قبل أن يخلق الملائكة. حَسَدَ لوسيفر المسيح، ورويدًا رويدًا ادَّعى لنفسه السلطان الذي كان للمسيح وحده.

اعترف الملائكة بالمسيح ملكًا على السماء. قوَّته وسلطانه مُعادلة لتلك التي للّٰه ذاته. ظنَّ لوسيفر في نفسه أنه مُفضَّل عن باقي الملائكة في السماء. كان اللّٰه قد منحه مركزًا رفيعًا، ولكن ذلك لم يجعله يُقدِّم الشكر والتسبيح لخالقه. كان يطمح للارتقاء إلى منزلة اللّٰه ذاته. تباهى بسمو مركزه. كان يعلم أنه مُكرَّم من الملائكة. كانت له رسالة خاصة ليحملها. لقد كان قريبًا من حضرة الخالق العظيم، وكانت آشعة المجد الدائمة التي تغمر اللّٰه السرمدي منعكسة عليه. فَكَّر كيف أنَّ الملائكة كانوا يُسرعون فَرحين لتنفيذ أوامره. ألم تكن ثيابه بيضاء وجميلة؟ فلماذا يُكرَّم المسيحَ فضلاً عنه؟

ترك لوسيفر مكانه في حضرة الآب وخرج غير قانع وممتلئًا بالحسد ضد يسوع المسيح. وإذ أخفى مقاصده الحقيقية، جمع الملائكة مِن حوله،

وطرح أمامهم قضيته، التي كانت عنه هو بالذات. تحدَّث إليهم ككائن تمَّت الإساءة إليه، كيف أنَّ اللّٰه تجاهله وأعطى الأفضلية ليسوع. أخبرهم أنه من تلك اللحظة فصاعدًا، كل الحرية التي يتمتَّعون بها قد انتهى زمانها لأنَّ حاكمًا مُطلقًا قد عُيِّن عليهم، وينبغي على الجميع أن يُقدِّموا لجلاله الولاء والسجود!

قال لهم بأنه جمعهم ليؤكِّد لهم أنه لن يسمح فيما بعد بهذا التَّعدِّي على حقوقه وحقوقهم، وأنَّه لن يسجد فيما بعد للمسيح. بدلاً من ذلك، سوف يأخذ لنفسه الكرامة التي كان يجب أن يمنحها اللّٰه له، وأنه سيكون القائد لكل مَن سيخضع لقيادته ويطيع أوامره.

حدث انقسام حاد بين الملائكة. أراد لوسيفر والمتعاطفين معه أن يُعيدوا هيكلة حُكم اللّٰه ويُبدِّلوا النُّظم والشرائع السماوية. فقد تمرَّدوا على سُلطة الابن.

حاول الملائكة المخلصون والأوفياء إخضاع ذلك الثائر القوي لإرادة اللّٰه خالقه. لقد أوضحوا بجلاء أنَّ المسيح هو ابن اللّٰه، وبأنَّه كان واحدًا مع اللّٰه قبل أن يخلق الملائكة. وكان دائمًا يقف عن يمين الآب، وأنَّ سلطة المسيح اللطيفة والمُحبَّة لم تكن أبدًا محل شك أو جدال. ولم يصدر عنه قط أي أمر إلا وكان تحقيقه مصدر فرح لقوَّات السماء.

أكَّدوا له بأنَّ الكرامة الخاصة التي كانت للمسيح لم تُنقص من الكرامة التي أُغدقَت على لوسيفر. بكى الملائكة. حاولوا بكل إخلاص إقناعه بالتَّخلُّص من مُخطَّطه الشرير وأن ينصاع لخالقهم. حتى تلك اللحظة، أشاروا إلى أنَّ السلام والانسجام كانا يعمان. فأي سبب يُحتمل أن يكون وراء هذا الانقسام والتَّمرُّد؟

رفض لوسيفر الإصغاء، وانقلب على الملائكة الأمناء والمُخلصين مُتَّهمًا إيَّاهم بأنَّهم عُملاء مخدوعون وعبيد. وقف هؤلاء الملائكة الأوفياء في دهشة وهم ينظرون كيف ينجح لوسيفر في إثارة التَّمرُّد. وعدهم بحكم جديد أفضل مما كان لديهم، يكون لهم فيه مُطلق الحرِّيَّة. أعدادًا كبيرة من الملائكة عبَّرت عن نيَّتها لقبوله قائدًا عامًّا لهم. وإذ رأى أنَّ جهوده قوبلَت بالنَّجاح، صار يُمنِّي نفسه بأنَّه قريبًا سوف يجذب جميع الملائكة

إلى جانبه، وأنَّه سوف يُصبح مُعادلاً للّٰه ذاته. حينئذ سوف يستمع الجميع إلى صوت سُلطانه آمرًا كلَ جُند السماء.

واصل الملائكة الأوفياء تحذيرهم له، مُصوِّرين له النتيجة المحتومة إذا أصرَّ على موقفه. فذاك الذي يستطيع أن يخلق الملائكة، يستطيع أن يفني سلطانهم بقوَّته ويُعاقب جُرأتهم وتمرُّدهم على مرأى من الجميع. هل من الممكن أن يقاوم ملاك من الملائكة شريعة اللّٰه التي هي مُقدَّسة كذاته؟ لقد أنذروا الملائكة المتمرِّدين أن يصمُّوا آذانهم عن الاستماع لحُجج لوسيفر الخادعة، ونصحوه مع جميع مَن وقعوا تحت تأثيره أن يتوجَّهوا إلى اللّٰه ويعترفوا له بأنهم كانوا على خطأ لمُجرَّد السماح لأفكارهم بالشَّك في سلطانه.

أراد كثيرون من المُتعاطفين مع لوسيفر العمل بمشورة الملائكة الأمناء والتَّوبة من هذا الجفاء والسَّعي للظفر برضى اللّٰه وابنه. حينئذ أعلَن ذلك الثائر القوي أنَّه خبير بشريعة اللّٰه وأنه إذا قَبِل الخضوع والطاعة صاغرًا، فستُنتزع منه كرامته. ولن تعود تُعطى له الثِقَة لتولِّي المراكز العُليا. قال لتابعيه أنه هو وهم قد تورَّطوا وذهبوا شوطًا بعيدًا يصعب عليهم العودة منه، وقرَّر أن يُجازف بتحمَّل العواقب لأنه لن يسجد بخضوع لابن اللّٰه. ادَّعى بأنَّ اللّٰه لن يغفر، وأن عليهم الآن أن يفرضوا حُرِّيتهم ويحصلوا بالقوة على منصبهم وسلطتهم التي لم تُوهب لهم عن رضا. وبهذا الاتجاه أصبح لوسيفر، الذي كان «حامل النور»، ومتلقيا لمجد اللّٰه، وواقفا بجانب عرشه، أصبح الشيطان «الخصم».

هرع الملائكة الأمناء إلى ابن اللّٰه ليُخبروه عَّما كان يحدث بين الملائكة. وجدوا الآب في جلسة تشاور مع ابنه لتحديد ما يجب عمله لقمع السلطة التي ادَّعاها الشيطان لنفسه، من أجل صالح الملائكة الأوفياء، لقمعها إلى الأبد. كان في مقدور اللّٰه العظيم أن يطرح ذلك المُخادع الأكبر فورًا، لكن لم يكن ذلك قصده. أراد أن يمنح المتمردين فرصة مساوية لاختبار قوَّتهم وبأسهم ضد ابن اللّٰه وملائكته الأوفياء.

كان على كل ملاك في هذه المعركة أن يختار الفريق الذي ينضم إليه، لكي يراه الجميع. لم يكن من الأمان أن يُسمَح لأيٍّ من الملائكة التي

انضمَّت إلى جانب الشيطان في عصيانه أن يظل مُقيمًا في السماء. لقد تعلَّموا درس العصيان على شريعة اللّٰه الثابتة التي لا تتغيَّر، فلا أمل في العلاج. لو أنَّ اللّٰه كان قد مارَس قدرته في معاقبة ذلك المتمرِّد الأعظم، لما كان ممكنًا كشف سائر الملائكة الساخطين. لذلك أخذ اللّٰه مسلكًا آخر، لأنَّه أراد أن يُظهر عدالته وحكمه لكل الكائنات السماوية.

حرب في السماء — كانت الجريمة الكُبرى هي التَّمرُّد على حُكم اللّٰه. بدت السماء كلها تعجُّ بفوضى عارمة. تمَّ تعيين الملائكة في مجموعات، ولكل فصيل ملاك أعلى رتبة كقائد للفصيل. دخل الشيطان في حرب لأنه كان يطمح بمجد لنفسه، وكان غير قابل للخضوع لسلطة ابن اللّٰه، قائد السماء العظيم.

استُدْعيَت كل ملائكة السماء للمثول أمام اللّٰه الآب. أعلن الشيطان دون خجل عدم رضاه لأن يُكرَّم المسيح أكثر منه. وقف بغطرسة وألحَّ على أنه يجب أن يكون هو مُعادلاً للّٰه. بكى الملائكة الأمناء وهم يستمعون إلى كلمات الشيطان الوقحة. أعلن اللّٰه أنَّ المتمرِّدين يجب ألا يظلوا في السماء بعد الآن. لقد حافظوا على وجودهم في السماء بسعادة وفرح على شرط طاعتهم للشريعة التي كان قد أعطاها اللّٰه لحكم الخليقة. ولكن لم يكن هناك مجال لخلاص الذين تجرأوا للتعدي على شريعة اللّٰه.

تمادى الشيطان في تمرُّده، مُعربًا عن ازدرائه لشريعة الخالق. ادَّعى أنَّ الملائكة ليسوا في حاجة للقَانون، بَل ينبغي أن يُتْرَكوا أحرارًا لاتِّباع إرادتهم الخاصة التي ستُرشدهم دومًا لعمل الصواب. قال أنَّ القانون هو تضييق لحُرِّيَتهم، وأنَّ اتِّخاذه موقف المُعارضة كان لتحقيق بعض الأهداف، أحدها هو إلغاء القانون.

كانت سعادة الملائكة مُرتبطة بطاعتهم الكاملة لشريعة اللّٰه. كان لكل منهم عمله الخاص المنوط به، وإلى حين تمرَّد الشيطان، كان النظام كاملاً والانسجام تامًّا في السماء.

ثم حدثت حرب في السماء. دخل ابن اللّٰه، أمير السماء، وملائكته الأوفياء في صراع مع المُتمرِّد الأعظم وملائكته المنضمّين إليه. انتصر

ابن اللّٰه وملائكته الأمناء، وطُرِحَ الشيطان والمُتضامنين معه من السماء. اعترف الملائكة الباقون بعدالةَ اللّٰه. لم يُتْرَك أي أثر للتمرُّد في اَلسماء. عاد السلام والانسجام كما كانا قبلاً. حزن الملائكة على مصير أولئك الذين كانوا زملاء لهم في السعادة والهناء. وكل السماء شعرت بفقدانهم.

تشاور الآب مع ابنه حول التطبيق الفوري لِخُطَّتهم لخلق الجنس البشري ليقطنوا الأرض. سوف يضعهم رهن الاختبَار ليمتحن ولاءهم قبل أن يصبحوا إلى الأبد آمنين. كان عليهم أن ينالوا رضى اللّٰه. سوف يتحدَّثون مع الملائكة، وتتحدَّث الملائكة معهم. لم يرى اللّٰه أنه من المناسب أن يجعلهم محصنين من العصيان؟

الفصل ٢

الخليقة

هذا الفصل يعتمد على ما ورد في سفر التكوين الأصحاح ١.

بدأ الآب والابن في تنفيذ العمل العظيم والرائع الذي خطَّطا له خليقة الأرض. وخرجت الأرض من يد الخالق آية من الجمال. كانت الجبال والتلال والسهول متداخلة مَع تجمُّعات المياه. لم تكن الأرض سهلاً واحدًا ممتدًا، بل كانت التلال والجبال تُغيِّر من رتابة مشهد امتداد السهل. ولم تكن الجبال وعرة كما نراها اليوم، بل كانَت مُتناسقة وتأخذ أشكالاً جميلة. الصخور العالية الجرداء لم تكن تُرى على سفوح الجبال، بل كانت مدفونة في بطونها، كما العظام في جسم الإنسان.

كانت المياه موزعة بالتساوي في كل الأرجاء. التلال والجبال والسهول فائقة الجمال تزيَّنت بالنباتات والأزهار والأشجار الفائقة الطول والعظمة بكل أنواعها وضخامتها، والتي كانت أضعاف ما للأشجار التي نراها اليوم من عظمة وجمال. كان الهواء نقيًّا وصحيًّا، وبَدَتْ الأرض كقَصْر ملوكي. رأت الملائكة ذلك وابتهَجَت لجمال وعظمة أعمال الله.

بعدما انتهيا من خليقة الأرض والحيوانات التي عليها، نفَّذ الآب والابن مقصدهما الذي خطَّطا له قبل سقوط الشيطان، وهو خلق الإنسان على صورتهما. لقد عملا معًا في خلق الأرض وكل شيء مما عليها. والآن، قال الله لابنه: «نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا».

بعدما خرج آدم من بين يدي خالقه، كان فارع الطول ومُتناسق الأعضاء. كانت ملامحه كاملة وجميلة، وبشرته وردية اللون دليلاً على الصحة. كانت حواء أقصر قامة من آدم، ورأسها يعلو قليلاً

فوق كتف آدم. وكانت هي أيضًا كاملة التكوين وبارعة الجمال.

ومع أنَّ كل ما عمله اللّٰه كان كامل الجمال، وبَدَتْ الأرض كاملة لا نقص فيها مما يعمل على إسعاد آدم وحواء، إلا أنَّ اللّٰه عبَّر لهما عن عظيم محبَّته لهما بإقامة جنَّة لتكون مأواهما.

كانا يقضيان جزءًا من وقتهما في العمل الممتع بالعناية بالجنَّة، وجزءًا آخر للالتقاء مع الملائكة والإصغاء لإرشاداتهم والتأمُّل في سعادة. لم يكن عملهما مُرهقًا، بل كان ممتعًا ومُنشِّطًا. كانت هذه الجنَّة الجميلة هي مسكنهما.

في هذه الجنَّة، وضع اللّٰه أشجارًا من كل نوع بقصد منفعتها وجمالها. كانت هناك أشجار مُحمَّلة بالأثمار الشهيَّة، والروائح العطرة، وكانت بهجة للعيون، وجيِّدة للأكل. لقد أعدَّها اللّٰه لتكون طعامًا لذينيك الزوجين المُقدَّسين. كانت هناك أشجار كرم كثيرة مما ينمو مُنتصبًا، منظرها جميل جدًا، أغصانها مُنحنية تحت ثقل ثمارها. كان عمل آدم وحواء الممتع هو تشذيب أغصان الكرم وإعداد أقواس منها لتهيئة ظلال لصنع مسكن لهما من الأشجار الحيَّة المُغطَّاة بالأوراق والثِّمار العطرة.

كانت الأرض مُغطَّاة باللون الأخضر الجميل، بينما تفتَّحت الآلاف من الأزهار العطرة من كل الأنواع والألوان حول آدم وحواء. كان كل شيء مُنسَّق ومُرتَّب بمستوى رفيع من الذوق والجمال. في وسط الجنَّة كانت شجرة الحياة تفوق في مجدها كل الأشجار الأخرى، وثمارها يمكن أن تُبقيهم أحياء إلى الأبد، أوراقها تحتوي على خواص للشفاء.

آدم وحوَّاء في الجنَّة — كان آدم وحوَّاء في غاية السَّعادة في الجنَّة، فقد أعطاهما اللّٰه سلطة غير مُحدودة على كل الخلائق الحيَّة. كان الأسد والحمل يلعبان معًا في سلام وأمان حولهما، أو يرقدان عند أقدامهما. الطيور بكل ألوانها وأنواعها كانت تُرَفرفُ بأجنحتها وسط الأشجار والأزهار حول آدم وحواء بينما يتردد صدى تغرِيدها الرقيق من وسط الأشجار في تناغم عذب وهي تشيد بالتسبيح لخالقها.

فرح آدم وحوَّاء جدًا بالجمال الذي أحاط بيتهم في جنَّة عدن. أسعدتهم الطيور المُغرِّدة الصغيرة المكسوَّة بريشها الناعم ذات الألوان

الزاهية وهي تشدو بترانيم الفرح والسعادة. انضمَّ إليها آدم وحوَّاء رافعين صوتيهما في ترانيم الحب والتسبيح والإجلال للآب وابنه لمظاهر الحب التي تحيط بهما. لقد أدْرَكا النِّظام والانسجام الموجود في الخليقة التي تدلُّ على حكمة اللّٰه ومدى علمه اللامحدود.

كانا، في كل وقت، يكتشفان أشياء جميلة جديدة وإضافات جديدة لبهاء منزلهما في جنَّة عدن، مما ملأ قلبيهما بمحبة أعمق للّٰه وأخرج من شفاههما تعابير وتسابيح الشكر والخشوع لخالقهما.

الفصل ٣

المأساة

هذا الفصل يعتمد على ما ورد في سفر التكوين ٢: ١٥-١٧؛
والأصحاح ٣.

في وسط الجنَّة، وبالقرب من شجرة الحياة، وقفت شجرة معرفة الخير والشر. أعدَّ اللّٰه هذه الشجرة خصيصًا لهما ليُبَرْهنا على طاعتهما وإيمانهما ومحبتهما له. أوصى الرَّب أبوينا الأوَّلين أن لا يأكُلا من هذه الشجرة لئلا يموتا. أخبرهما أنه يمكنهما أن يأكلا بحرِّيَّة من كل شَجر الجنَّة، إلا واحدَة، ولكن إذا أكلا من تلك الشجرة، فسوف يموتان.

عندما وضَع اللّٰه آدم وحواء في تلك الجنة الجميلة، كان لهما كل ما يشتهيانه من أجل سعادتهما. ولكن ضمن خطَّة اللّٰه كُلِّي الحكمة، رأى اللّٰه أنَّه من المُناسب أن يَختَبرَ ولاءَهما قبل أن يجعلهما آمنين إلى الأبد. كانا سينالان رضاه، وكان سيَتحدَّث معهما ويتحدَّثان معه، ومع ذلك لم يسلبهما حرية اختيارهم لطريق الشر. سُمِحَ للشيطان أن يُجرِّبهما. فإذا صَمَدَا أمام الاختبار، سينالان رضا اللّٰه وملَائكة السماء إلى الأبد.

وقف الشيطان مذهولاً لما آلت إليه حالته الجديدة. لقد زالت سعادته. نظر إلى الملائكة من حوله، الذين كانوا مثله قبلاً في قمة السَّعادة، الذين طُردوا من السماء معه. لقد احتدم الصِّراع والخلافات والاتهامات المُرَّة فيمَا بينهم. قبل تَمَرُّدهم، لم تكن هذه الأشياء معروفة في السماء. أدرك الشيطان الآن نتائج تَمَرُّده الفظيعة.

لو كان بإمكانه أن يستَعيد حالته السابقة عندما كان طاهرًا، وصادقًا، وأمينًا، ومُخلصًا، لكان تخلَّى مسرورًا عن ادِّعاءاته بالسلطة. لكنه أصبح

ضائعًا! عناده، وتمرُّده غير المُبرَّر قطع الطريق أمامه للخلاص.

لم يكن هذا كل ما في الأمر. لم يكتف الشيطان بذلك، بل قاد آخرين للعصيان ولنفس حالة الضياع مثله، الملَائكة الذين لم يخطر على بالهم أبدًا أن يَشكُّوا في إرادة السماء أو أن يعصوا شريعة اللّٰه إلى أن وضعها الشيطان في عقولهم. والآن أصبحوا في فوضى عارمة من جرَّاء خيبتهم في تحقيق آمالهم. فبدلاً من حصولهم على خير أكبر، كانوا يُقاسون النتائج المُحزنة لعصيانهم واستخفافهم بشريعة اللّٰه.

الشيطان يدرس مساره — ارتَعَد الشيطان وهو يُشاهد نتيجة أفعاله. وحيدًا، أخَذ يُفكِّر في الماضي والحاضر وخططه للمستقبل. لم يكن هناك من سبب لإتِّباعه مسلك التمرُّد. لقد هدم نفسه ومعه جمع غفير من الَملائكة أيضًا. كان يُمكن أن يظلوا سُعداء في السماء لو أنه ظلَّ أمينًا لشريعة اللّٰه. إن شريعة اللّٰه تدين، ولكنها لا تعفو.

هذا الانقلاب الهائل في حالة الشيطان لم تَزِدْ من حُبِّه للّٰه ولا لحكْمَته ولا عدالته ولا شريعته. عندما اقتنع الشيطان تمامًا أنَّ لا سبيلَ أمامه لاستعادة رضى اللّٰه، أظهر مقاصده الشريرة بمزيد من الحقد.

عَلمَ اللّٰه أنَّ مثل هذا التَّمرُّد لن يظل خامدًا، فسوف يبتكر الشيطان سبلاً يُزعج بها الملائكة السماويين ويُظهر اَزدراءه لسلطة اللّٰه. وإذ كان ممنوعًا من التواجد داخل أبواب السماء، كان سينتظر بالقرب من مكان الدخول ليسخر من الملائكة وليُحاول أن يُجادلهم عند دخولهم وخروجهم. ويسعى لتدمير السعادة التي يهنأ بها آدم وحواء. وسوف يسعى بكل جهده ليحرضهم على التَّمرُّد، مُدركًا أنَّ ذلك سوف يكون مدعاة للحزن في السماء.

المُؤامرة ضد العائلة البشرية — أطلَع الشيطان أتباعه على خطَّته لينتزع آدم وشريكته حواء بعيدًا عن اللّٰه. فإذا استطاع أن يخدعهما بأيَّة وسيلة ويجعلهما يعصيان اللّٰه، فإنَّ اللّٰه سوف يأتي لهما بتدبير ما لكي ينالا الغفران، وإذ ذاك يستطيع الشيطان ومعه الملائكة الساقطون أن يُطالبوا بقسط من رحمة اللّٰه التي وُهبَت لآدم وحوَّاء.

إذا فشل هذا المُخطط، يمكنهم حينئذ أن يتوحَّدوا مع آدم وحواء، لأنهما حالما يتعدَّيا على شريعة اللّٰه سيكونان خاضعين لغضب اللّٰه أيضاً، مثل الشيطان وملائكته. وهذا التعدِّي سيضعهما أيضًا في حالة التَّمرُّد مثل الشيطان وملائكته، عندئذ يمكن له أن يتوحَّد مع آدم وحواء للاستيلاء على الجنَّة وامتلاكها. وإذا استطاعوا الوصول إلى شجرة الحياة في وسط الجنة، ستزداد قوَّتهم — حسب اعتقادهم — لتكون مُساوية لتلك التي للملائكة القديسين. وعندها لن يستطيع حتى اللّٰه ذاته طردهم من الجنة.

تحذير لآدم وحواء — جمع اللّٰه الملائكة ليُقرِّروا ما يجب عمله تجاه الشر الذي يهدد آدم وحواء. تقرَّر في ذلك المجلس السماوي أن يقوم الملائكة بزيارة الجنة ويُحذّروا آدم من أنه مُعرَّض للخطر من قِبَل العدو.

أوضحت الملائكة لآدم وحواء التاريخ المُحزن لتمرُّد الشيطان وسقوطه. ثُمَّ أعلموهما بجلاء أنَّ شجرة معرفة الخير والشر وُضعَت في الجنَّة كسبيل لهما ليُبرهنا على طاعتهما ومحبتهما للّٰه. إنَّ الملائكة القديسين يُمكن أن يحتفظوا بمقامهم وسعادتهم التي يتمتَّعون بها بشرط الطاعة، وهكذا هو الحال مع آدم وحواء أيضًا. يُمكنهما إطاعة شريعة اللّٰه ليتمتعا بسعادة تفوق الوصف، أو بإمكانهما أن يَعصياها ليفقدا مقامهما السامي وليغرقا في يأس لا رجاء بعده.

أخبر الملائكة آدم وحواء بأنَّ أسمى ملائكة السماء، الذي لم يَفُقْه سوى المسيح ابن اللّٰه، رفض أن يطيع الشريعة التي أسَّسها اللّٰه لحُكم الخلائق السماوية. قالوا لهما بإنَّ ذلك التَّمرُّد قادَ إلى حرب في السَماء، نتج عنها طرد المتمرِّدين، كل الملائكة الذين اتَّحدوا مع ذلك المتمرد للتشكيك في سلطة يهوه تمَّ طردهم من السَّماء. هذا الملاك الساقط أصبح الآن عدوًّا لكل ما هو عزيز على قلب اللّٰه وابنه.

قالوا لهما بأن الشيطان يقصد أن يوقع بهما ضررًا، ومن الضروري أن يكونا يقظين، فقد يجدا نفسيهما في حالة مواجهة مع هذا العدو الساقط. إلا أنه لا يستطيع أن يوقع الضرر بهما طالما أطاعا شريعة اللّٰه لأن ملائكة السماء — إذا دَعَت الضرورة — سوف يأتون لعونهم ولن يسمحوا له أن

يضرَّهما بأي شكل من الأشكال. ولكن في حالة عصيانهما شريعة اللّٰه، فسيكون للشيطان القدرة على إغضابهما وإرباكهما وإزعاجهما إلى ما لا نهاية. ولكن إن ظلا صامدين أمام أول محاولة من الشيطان، فسيصبحان آمنين إلى الأبد مثل ملائكة السماء.

ولكن، إن هما خضعا للشيطان المُجرِّب، فإنَّ اللّٰه ذاته الذي لم يُشفق على أسمى ملائكة السماء، لن يُشفق عليهما. يجب أن يتحمَّلا نتيجة تعدِّيهما، لأنَّ شريعة اللّٰه مُقدَّسة كذاتِه، وهو يطلب الطاعة من كل القلب لكل من هم في السماء ومن هم على الأرض.

حذّر الملائكة حواء من الابتعاد عن زوجها في الجنة، لأنَّها قد تجد نفسها في مواجهة مع هذَا العدو الساقط. فإن ابتعد واحدهما عن الآخر، فسيكونان أكثر عرضة للخطر مما لو كانا كلاهما معًا.

أكَّد آدم وحواء للملائكة أنهما لن يعصيا شريعة اللّٰه الواضحة، بل بالأحرى ستكون أقصى سعادتهما فعل إرادة اللّٰه.

التَّجربة والسقوط

اتخذ الشيطان شكل الحيَّة ودخل جنَّة عدن، واستقرَّ على أغصان شجرة معرفة الخير والشر وبدأ يأكل من ثمرها.

في البداية، ابتعدت حواء عن زوجِها، دون وعي منها، أثناء اعتنائها بالحديقة. وعندما أدركت ما حدث، شعرت أنه قد يكون هناك خطر ما، ولكنها عادت تُفكِّر في نفسها أنها في أمان حتى وإن لم تبقَ بالقرب من زوجها. ظنَّت أنَّ لديها الحكمة والقوَّة لتواجه الشر وتعرفه وتثبت في وجهه. كان الملائكة قد حذروها من فعل ذلك. وجدت حوَّاء نفسها تشخص إلى ثمار الشجرة المنهي عنها بمزيج من الفضول والإعجاب.

رأت أنَّ الثمر جميل جدًا، وتساءلت في نفسهَا عن سبب التشدُّد الذي لأجله نهاهما اللّٰه عن الأكل منها. وكانت هذه هي فرصة المُجرِّب المُرتقبة. تحدَّث إليها وكأنه كان قادرًا على أن يقرأ ما يدور في أفكارها: «أحقًّا قال اللّٰه لا تأكلا من كل شجر الجنَّة؟» بكلمات عذبة رقيقة، وبصوت موسيقي،

خاطب الشيطان حواء المندهشة. بُهتَت حواء عندما سَمعَت الحيَّة تتكلم، لأنها كانت تعلم بأنَّ اللّٰه لم يُعط الحيَّة المقدرة على الكلام.

استُثير الفضول عند حواء. وبدلاً من تركها المكان سريعًا، بقيت تستمع إلى الحيَّة وهي تتكلَّم. لم يخطر على بالها أنَّ ذلك قد يكون العدّو الساقط مُستَعملاً الحيَّة كوسيط. كان الشيطان هو الذي يتكلَّم وليست الحيَّة. انبهرت حواء وفُتنَت بالحيَّة المُتكلِّمة. فلو أنها قابلت شخصية على هيئة الملائكة أو شَبَههم، لكانت احترست وأخذت الحذر وشعرت بالخوف.

كان يجب أنَ يدفع ذلك الصوت الغريب حواء لأن تهرع إلى جانب زوجها سائلة إيَّاه لماذا يُخاطبها شخص آخر غيره بهذه الحريَّة. إلا أنها دخلت في جدال مع الحيَّة، وأجابت عن سؤاله: «من ثمر شجر الجنَّة نأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة، فقال اللّٰه: لا تأكلا منه ولا تمسَّاه لئلا تموتا». فأجابت الحيَّة: «لن تموتا! بل اللّٰه عالم أنه يوم تأكلان منه، تنفتح أعينكما وتكونان كاللّٰه، عارفين الخير والشر».

أراد الشيطان أن يجعلهما يظنان أنه بأكلهما من الشجرة المُنهى عنها سوف يحصلان على نوع جديد من المعرفة أكثر نُبلاً وسموًّا مما لهما الآن. كان هذا هو إسلوب عمل الشيطان منذ سقوطه، وقد أحرَزَ فيه نجاحًا عظيمًا — أن يقود البشر بدافع الفضول لأن ينفذوا إلى أسرار اللّٰه كُلِّي القدرة، وأن لا يقنعوا بما كشفه اللّٰه لهم ولا يهتموا بطاعة ما أمر اللّٰه به. يريد أن يقودهم لعصيان وصايا اللّٰه ثم يجعلهم يعتقدون بأنَّهم يدخلون إلى عالم مُدهش من المعرفة. هذا محض افتراض، وهو خديعة مُشينة.

إنَّهم يفشلون في فهم ما قد كشفه اللّٰه فعلاً، ويتجاهلون وصاياه الصريحة، ويطمحون لنيل حكمة بمعزل عن اللّٰه، ساعين لفهم ما شاء اللّٰه أن يُخفيه عن البشر. إنَّهم يزهون ويتفاخرون بأفكارهم عن التقدم والارتقاء، ويتباهون بما لهم من فلسفة فارغة، ولكنهم يتلمَّسون في ظلام الليل الحالك عندما يتعلَّق الأمر بالمعرفة الحقيقية.

لم تكن إرادة اللّٰه أنَّ يعرف هذان الزوجان المُقدَّسان أي شيء عن الشر. لقد منحهما الخير مجَّانًا وبكل سخاء، ومنع عنهما الشر. ظنَّت

حواء أنَّ كلمات الحيَّة كانت كلمات حكمَة، وقَبلَت تأكيداته «لن تموتا! بل اللّٰه عالمٌ أنه يوم تأكلان منه، تنفتح أَعينكما وتَكونان كاللّٰه عارفين الخير والشر». بِهذه الكلمات جعل الشيطان اللّٰه كاذبًا. ألمح الشيطان بكل جُرأة أنَّ اللّٰه كان قد خدعهما ليمنعهما من الحصول على المعرفة التي ستجعلهما مساويين للّٰه ذاته. قال اللّٰه: «لَا تأكلا منه... لئلا تموتا». قالت الحية: إذا أكلتما «لن تموتا».

أكَّد الشيطان المُجَرِّب لِحَوَّاء أنَّه بمُجرَّد أكلها الثمرة سوف تحصل على معرفة جديدة وسامية ستَجعلها مُساوية للّٰه. ولَفَتَ انتباهها إلى نفسه (الحيَّة). قال إنَّ السبب في اكتسابه القدرة على الكلام هو أنه كان قد أَكَلَ من تلك الشجرة التي نهاهُما اللّٰه عنها. وأوعَزَ إلى أنَّ اللّٰه لن يُنفِّذ كلمته، فهي مُجرَّد تهديد لإخافتهما ولمنعهما من خير أسمى. قال لهما أيضًا أنَّهما لا يمكن أن يموتا. ألم يأكلا من شجرة الحياة التي تُفضي إلى عدم الموت وطول الحياة؟ قال بأنَّ اللّٰه كان يخدعهما ليَحرمهما من حالة أسمى من الوجود وسعادة أكمل.

قَطَفَ المُجرِّب الثمرة وأعطاها لحواء، وأخذتها في يدها. قال المُجرِّب، لقد منعكما اللّٰه من مُجرَّد لمس الثمر لئلا تموتا. وقال لها بأنها لن تُدرك أي شعور بالشر والموت لو أكلت الثمرة أكثر مما شعرت به عند لمسها أو إمساكها بها. زادت جُرأة حوَّاء لأنها لم تشعر بأي إشارات مُباشرة لعَدَم رضى اللّٰه. ظنَّت حوَّاء أنَّ كلمات المُجرِّب لا بُدَّ أن تكون كلها حَكيمة وصحيحة. فأكلت، وكانت مسرورة بالثمرة، فقد كانت حلوة المذاق، وتهيَّأ لها بأنها شعرت بالآثار المُدهشة لتلك الثمرة.

حواء تُصبح مصدرًا للتجربة — بَعد ذلك قطفت حواء بعضًا من الثمار وأكلتها، مُتخيِّلة أنَّها أحسَّت بانتعاش وقوَّة، وتخيَّلت أنها دخلت إلى حالة وجود أسمى من تأثير تلك الثمرة المُحرَّمة، وأصبحت في حالة اهتياج غريب غير طبيعي وهي ذاهبة تبحث عن زوجها ويداها مملوءتان بالثمار المُحرَّمة. أخبرته بحكمة الأشياء التي قالتها الحيَّة، وأرادت أن تأخذه معها فورًا إلى شجرة المَعرفة. أخبرته بأنها أكلت بعضًا من ثمارها، وبدلاً من شعورها بأي إحساس بالموت، اختَبَرَت تأثيرًا مُسرًّا ومُبهجًا. بمجرَّد أن تعدَّت حوَّاء على

وصايا اللّٰه، أصبحت أداة قويَّة في يد الشيطان لمُحاولة إسقاط زوجها.

أدرك آدم جيِّدًا أنَّ شريكته عَصَت النَّهي الوحيد الذي قدَّمه اللّٰه لهما كامتحان لولائهما ومحبتهما. تحاججت حوَّاء حول ما قالته الحيَّة بأنَّهما لن يموتا، ولا بدَّ أن يكون كلام الحيَّة صادقًا لأنها لا تشعر بأيّ دليل أو علامة على غضب اللّٰه، بل على عكس ذلك، فهي تشعر بتأثير مُبهِج كالذي يشعر به الملائكة — حسب اعتقادها.

شعر آدم بالنَّدم لابتعاد حواء عنه، ولكن لا فائدة من النَّدم لأنَّ الفعْلَ قد حصل وأصبح واقعًا. فلا بُدَّ أن ينفصل عن تلك التي أحبَّ رفقتها كثيرًا. فكيف له أن يسمح بذلك؟ كان حبَّه لحواء قويًا جدًا، وفي قمَّة يأسه عزم على مشاركتها مصيرها. فكَّر في نفسه أنَّ حواء كانت جزءًا منه، وإذا كان لا بدَّ أن تموت، فسوف يموت معها، لأنه لم يكن يحتمل فكرة انفصاله عنها.

كان ينقصه الإيمان في رحمة ولطف خالقه. لم يكن يُدرك أنَّ اللّٰه الذي جبله من تُراب الأرض وصيَّره كائنًا حيًّا، مخلوقًا جميلاً، وخَلَقَ له حواء لتكون شريكة له، يستطيع أن يملأ مكانها. وعلى أي حال، ألا يُمكن أن يكون كلام الحيَّة الحكيمة صادقًا! ها هي حواء واقفة أمامه، جميلة ورائعة وبريئة كما يبدو مثلما كانت قبلما ارتكبت تلك المعصية. لقد عبَّرت عن محبتها له أكثر مما فعلت من قبل عصيانها، مُدَّعيةً بأنَّ هذا نتيجة أكلها من ثمر الشجرة المُحرَّمة. فرأى عدم ظهور علامات الموت عليها.

قرَّر آدم أن يُجرِّب حظَّه، فأمسَكَ بالثمرة المنهى عنها وأكل منها في إسراع. ومثله مثل حوَّاء، لم يشعر بآثارها السيئة مُباشرة.

حرية الاختيار عند الإنسان — أوصى اللّٰه أبوينا الأولين بخصوص شجرة معرفة الخير والشر، وكانا على علم تام بسقوط الشيطان وخطر الإصغاء إلى مُقترحاته. لم يحرمهما اللّٰه من القدرة على الأكل من الثمرة المُحرَّمة. لقد تَرَكَ لهما، كوكيلين أخلاقيين، حرية الإيمان بكلمته، ليطيعا وصاياه ويحيا، أو ليُؤمنا بما يقوله الشيطان، ويعصيان اللّٰه، ويهلكا.

انتُزِعَت منهما عذوبة المحبة ونعيم السعادة والرِّضا، ومكانها، حلَّ نقص فَي شيء لم يختبراه من قبل. بعد ذلك ولأوَّل مرَّة، حوَّلا انتباهَهُما

إلى المنظر الخارجي. لم يرتَديا ملابسًا من قبل، بل كان النور هو كسوتهما كالملائكة السماويين. النور الذي كانَ يسترهما، اختفى. ولكي يخفِّفا من شعورهما بالنقص والعُري اللذين شَعَرَا به، بَحَثا عن شيء ليُغطِّيا جَسَدَيهما، فكيف يُمكنهما أن يُقابلا عيني الرب والملائكة وهما عريانين؟

فَرِحَ الشيطان فرحًا عظيمًا بنجاحه، فقد جَرَّب المرأة لتَفْقد الثقة في اللّٰه، وتَشُكَّ في حكْمَته وتحاول أن تخترق خُطط اللّٰه كلِّي الحَكمَة. ومن خلالها، أسْقَطَ آدم أيضًا الَذي عصى وصايا اللّٰه بسبب حُبِّه لها، وسَقَطَ معها.

افتَقَدَ اللّٰه آدم وحواء وأخبرهما نتائج عصيانهما. وإذ أصغيا إليه وهو يقترب منهما بهيئته الملوكيَّة، حاوَلا الاختباء من نَظَر ذاك الذي كانا يبتهجان للقائه عندما كانا في حالة البراءة والقداَسة. «فَنادى الرب الإله آدم وقال له: ‹أين أنت؟›. فقال: ‹سَمعْتُ صوتَك في الجنَّة فَخَشيت، لأني عُريان فاختبأت›. فقال: ‹مَن أعلَمَكَ أنك عريان؟ هل أكَلْتَ مِن الشجرة التي أوصيتُكَ أن لا تأكل منها؟›».

سأل الرَّبُّ هذا السؤال ليسَ لأنه كان في حاجة للمعلومات، بل لإدانة هذين المُذنبَيْن. كيف أصْبَحْتَ خَجلاً وخائفًا؟ اعتَرَفَ آدم بتعدِّيه، ليس بقصد التوبةَ لمعصيته العُظمى، بلَ لإلقاء اللوم على اللّٰه. «المرأة التي جَعَلْتَها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت». بعد ذلك، خاطَبَ اللّٰه المرأة: « مَا هذَا الَّذي فَعَلْتَ؟ » أجابت حواء: «الحيَّة غرَّتني فأكلت».

اللعنة – ثُمَّ تَحَدَّث اللّٰه إلى الحيَّة: «لأنَّك فَعَلْت هذا، ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البريَة. علىَ بطنك تسعين وتُرابًا تَأكلين كل أيامَ حياتَك». إذ كانت الحية أكثر سموًّا بين وحوش البرية، فقد انحطَّت أسفل منهم جميعًا وستكون مُبغَضَة من الناس لأنها كانت هي الوسيط الذي عمل الشيطان من خلاله. «وقالَ لآدم: ‹لأنك سَمعْتَ لقَول امرأتك وأكلت من الشجرةَ التي أوصيتك قائلاً: لا تأكل منهَا، ملعَونة َالأرض بسببك. بالَتَّعب تأكل منها كل أيام حياتك. وشوكًا وحَسَكًا تنبت لك، وتأكل عشب الحقل. بِعَرَق وجهِكَ تأكل خبزًا حتى تعودُ إلى الأرض».

لعن اللّٰه الأرض بسبب خطيئتهما والأكل من شجرة معرفة الخير والشر، وأعلن «بالتَّعب تأكل منها كل أيام حياتك». لقد قدم لهما الخير وحجب عنهما الشر. ولكن الآن فقد أعلن اللّٰه أنهما سيأكلان منها، أي أنهما سيختبران الشر مدى أيام حياتهما.

ومنذ ذلك الحين، كان على الجنس البشري أن يُقاسي من تجارب الشيطان. أصبح على آدم أن يعيش حياة التَّعب والقلق مدى الحياة، بدلاً من العمل المُفرح السعيد الذي استمتع به إلى ذلك اليوم. أصبح عليهما أن يختبرا خيبة الأمل، والحزن، والألم، وأخيرًا الموت. فقد جُبِلا مِن التراب، وإلى التراب يعودان.

أُعلما أنَّ عليهما ترك بيتهما في جنَّة عدن. لقد انصاعا لخديعة الشيطَان، وصدَّقا كلامه بأنَّ اللّٰه يكذب. وبعصيانهما فتحا الباب للشيطان ليصل إليهما بسهولة، ولم يكن من الأمان بالنسبة لهما أن يظلا في جنَّة عدن، في حالتهما الخاطئة ليصلا إلَى شجرة الحياة وليعيشا إلى ما لا نهاية حياة الخطية. لقد توسَّلا إلى اللّٰه أن يسمح لهما بالبقاء في بيتهما، مع أنَّهما اعترفا بأنهما اسقطا كل حق لهما للبقاء في الجنَّة السعيدة. تعهَّدا بأنَّهما في المستقبل سيقدِّمان للّٰه طاعة كاملة. قيل لهما أنهما بسقوطهما من حالة البراءة إلى حالة الإثم لم يكتسبا أيَّة مقدرة، بل ازدادا ضعفًا كبيرًا. لم يحتفظا باستقامتهما حينما كانا في حالة القداسة، والطهارة، والبراءة السعيدة، وسوف تضعف قوَّتهما في البقاء أمَناء أوفياء في حالة الشعور الواعي بالإثم. وفي تذلل وحزن لا يُعبَّر عنهما، أدركا الآن أن أُجرة الخطية هي موت.

أُرْسلَت الملائكة في الحال لحراسَة الطريق إلى شجرة الحياة. كانت خطة الَشيطان أنَّ يعصى آدم وحَواء اللّٰه، ويستوجبان سخطه، ثمَّ يأكلان من شجرة الحياة، وبذلك يعيشان عيشة الخطية إلى ما لا نهاية. لكن الملائكة القديسين أُرسلوا لسَدِّ طريقهما إلى شجرة الحياة. كانت أشعة من نور تومض حول المَلائكَة من كل جانب، أشبه بسيوف من نور.

الفصل ٤

الحَلّ

هذا الفصل يعتمد على ما ورد في سفر التكوين ٣: ١٥، ٢١-٢٤.

امتلأت السماء حزنًا إذ أدرك الجميع أنَّ الإنسان قد هلك وأن العالم الذي خلقه اللّٰه سيمتليء بخلائق محكوم عليها بالبؤس والمرض والموت، ولا سبيل للنجاة للعُصاة. وتحتم الموت على عائلة آدم وحواء جميعًا.

أعلن يسوع للجند السماوي أنَّ طريقًا قد أُعدَّ لخلاص الجنس البشري الهالك. أخبرهم أنه كان يتضرع أمام أبيه، وقدَ عرض عليه أن يُقدِّم حياته فديةَ. سوف يأخذ حُكم الموت على نفسه حتى بواسطته يستطيع الجنس البشري أن يحصل على الغفران. فباستحقاقات دمه وطاعته لشريعة اللّٰه سوف ينالون رضا اللّٰه ويعودون إلى الجنَّة الجميلة ويأكلون من شجرة الحياة.

بَسَط يسوع أمام الملائكة خطَّة الخلاص. قال لهم أنَّه سوف يقف بين غضب أبيه وبين البشرية الآثمة، سوف يتحمَّل الخطيئة والسخرية، ومع ذلك فقليلون هم الذين سيقبلونه على أنه ابن اللّٰه. فالغالبية سوف تكرهه وترفضه. سوف يترك كل مجده في السماء، ويظهر على الأرض كإنسان، ويضع نفسه كإنسان، ويختبر بنفسه مُختلف التجارب التي تحيط بالبشرية، حتى يعرف كيف يُعين المُجرَّبين. ومتى انتهت مهمَّته كمُعلِّم، سيُسلَّم لأيدي الأشرار ويتعرَّض لكل صنوف الإهانة والتعذيب التي يُمكن أن يوحي إليهم الشيطان وملائكته لإيقاعها عليه. وسيموت أقسى ميتة، مُعلَّقًا على الصليب بين السموات والأرض كخاطئ مُجرم، مارًّا في ساعات عذاب طويلة ورهيبة جدًا — حتى أنَّ الملائكة لا يستطيعون مُشاهدة ذلك المنظر. لم يكن العذاب الذي قاساه يسوع مُجرَّد عذاب جسدي، إنَّما

نفسي أيضًا، والذي يُقارن بالعذاب الجسدي. سيستقر عليه حمل خطايا العالم بأسره. أخبرهم أنه سوف يموت ويقوم في اليوم الثالث، وسوف يصعد إلى أبيه ليشفع في الجنس البشري العاصي الآثم.

الطريق الوحيد للخلاص — سَجَدَ الملائكة أمامه. قدَّموا أنفسهم فدية. قال لهم يسوع إنه بموته سيفتدي كثيرين، وأنَّ حياة أي ملاك لا يمكنها أن تفي الدَّين. إنَّ حياته هو وحده هي التي يُمكن أن يقبلها أبوه فدية عن البشرية. بعد ذلك، فالذين افتداهم سيكونون معه، وبموته سوف يفتدي الكثيرين وسيبيد الشيطان الذي له سلطان الموت. وسيُعطيه الآب الملكوت وعظمة الملكوت، وسيملك إلى أبد الآبدين. سيهلك الشيطان والخطاة، ولن يُكدِّروا صفاء السماء أو طهارة الأرض الجديدة.

لكنه حدَّد للملائكة عملهم. ففي صعودهم ونزولهم عليهم أن يخدموه ويقووه ويُسَكِّنوا اضطراب نفسه حين يُقاسي الآلام. عليهم أيضًا أن يحرسوا أبناء النعمة من قوَّة الملائكة الأشرار ومن الظلمة التي ينشرها الشيطان حولهم. لم يكن ممكنًا للّٰه أن يبدِّل أو يُغيِّر شريعته لخلاص الأشرار الهالكين. لذلك، سمح لابنه الحبيب أن يموت من أجل تعدِّيهم.

فرح الشيطان مرة أخرى ومعه ملائكته، لكونه بتسببه في إسقاط البشرية استطاع أن يُنزل المسيح من مكانته السامية. قال الشيطان لملائكته إنه حينما يأخذ يسوع طبيعة الجنس البشري الساقط، يمكنه عندها أن يتغلَّب عليه ويحول دون نجاح خطَّة الخلاص.

في تذلل وحزن لا يُعبَّر عنهما، ترك آدم وحوَّاء الجنة الجميلة حيث كانا في قمَّة السعادة إلى أن عصيا شريعة اللّٰه. حينها تغيَّر الجو. لم يعد متنوعًا كما كان قبل خطيتهما. ألبسهما اللّٰه قمصانًا من جلد ليحميهما من الشعور بالبرد ثم من حرارة الجو التي يتعرضان لها.

شريعة اللّٰه الثابتة التي لا تتغيَّر — حزنت السماء بأسرها لعصيان آدم وحواء وسقوطهما الذي جلب سخط اللّٰه وغضبه على الجنس البشري. لقد انقطعت صلتهما باللّٰه وغرقا في بحر من اليأس والشقاء لا رجاء فيه.

إنَّ شريعة يهوه، أساس حُكمه في السماء كما على الأرض، كانت مُقدَّسة كاللّٰه ذاته. ولهذا السبب لم يكن ممكنًا أن يقبل اللّٰه حياة ملاك كفدية عن التَّعدِّي عليها. فشريعة اللّٰه أهم عنده من الملائكة القديسين المتواجدين حول عرشه. لم يكن للآب أن يُبطل أو يُغيِّر جزءًا ولو صغيرًا من شريعته ليتناسب مع الإنسان في حالته بعدَ السقوط. لكن ابن اللّٰه، الذي شارك الآب في خلق الإنسان، يُمكنه أن يصنع كفَّارة عنه تكون مقبولة لدى اللّٰه، وذلك ببذل حياته كفَّارة عنهم وتحمُّله سخط اللّٰه وغضبه. أخبر الملائكة آدم أنه كما أنَّ معصيته قد جلبَت الشقاء والموت، كذلك ستجلب ذبيحة يسوع المسيح الحياة والخلود.

إطلالة على المُستقبل — كشف اللّٰه لآدم أحداثًا مُستقبلية هامة، منذ يوم طرده من جنَّة عدن إلى الطوفان، حتى مجيء المسيح الأول إلى الأرض. إنَّ محبة اللّٰه لآدم ولنسله أدَّت إلى أن يتنازل ابن اللّٰه ويأخذ الطبيعة البشرية، وباتضاعه سوف يرفع كل مَن يؤمن به. مثل هذه الذبيحة كانت ذات قيمة عظيمة كافية لتخليص العالم كله. ولكن قليلون هم الذين سيقبلون الخلاص الذي جُلبَ لهم بواسطة هذه التضحية العجيبة. إنَّ الغالبية لن تُطبِّق الشروط المطلوبةَ لنيل خلاصه العظيم. سيُفضِّلون حياة الخطية والتَّعدي على شريعة اللّٰه بدلاً من التوبة والطاعة، وبدلاً من الاعتماد بالإيمان على استحقاقات الذبيحة المُقدَّمة من أجلهم. كانت هذه التضحية ذات قيمة غير محدودة لتجعل من أي شخص يقبلها، أغلى من الذهب الخالص.

ذبيحة التقدمة — عندما قام آدم بتقديم تقدمة الخطية حسب إرشادات اللّٰه، أحسَّ بألم وحزن بالغَين. كان لابدَّ ليَده أن تنتزع الحياة؛ التي لا يُعطيها إلا اللّٰه، ليُقدِّم الذبيحة. كانت تلك أوَّل مرَّة يُشاهَد فيها الموت. وإذ نظر إلى الضحية وهي تنزف الدَّم وتتلوَّى في سكرات الموت، دُعيَ لأن يتطلَّع بعين الإيمان إلى ابن اللّٰه، الذي رَمَزَتْ إليه الضحية، الذي سيموت كذبيحة لأجل البشرية.

كان القصد من نظام الذبائح الطقسي ذلك، الذي أسَّسه اللّٰه، أن يكون مُذكِّرًا دائمًا لآدم بمعصيته وعصيانه وذنبه، وأيضًا فرصة لاعترافه وتوبته عن خطيته. إنَّ عمل إزهاق الحياة ذلك جعل آدم يحس إحساسًا

أوضح وأعمق بهول معصيته التي لا يُمكن أن يكفِّر عنها سوى موت ابن اللّٰه الحبيب. وقد تملَّكته الدَّهشة وهو يتأمَّل في صلاح اللّٰه غير المحدود ومحبته التي لا مثيل لها والتي جعلته يُقدِّم هذه الفدية الباهظة الثمن لكي يُخلِّص الأثَمة. بينما كان آدم يذبح تلك الضحيَّة البريئة، بدا له وكأنه يسفك دم ابن اللّٰه بيديه. لقد عَرَفَ بأنه لو ظلَّ أمينًا للّٰه ومُصغيًا لشريعته المُقدَّسة، لما مات حيوان أو إنسان. ومع ذلك، ففي نظام تقديم الذبائح، الذي يرمز إلى التَّقدمة العظمى والكاملة لابن اللّٰه ذاته، ظهرت نجمة الرَّجاء التي بدَّدت غياهب الظلام والمُستقبل المُرعِب، وخففت من وحشته وكآبته وانعدام الأمل فيه.

في البدء كان رأس كل عائلة يُعتبَر القاضي والكاهن لأهل بيته. بعد ذلك، إذ تضاعف الجنس البشري على الأرض، صار، الرجال المعينين من اللّٰه، يُمارسون ويُجرون هذه العبادة المُقدَّسة في تقديم الذبائح عن الشعب. كان القصد من هذه العبادة هو إيصال بشرى الخلاص لأذهان الخُطاة من خلال ربطَ دم الحيوانات مع دم ابن اللّٰه. كان موت الضحية هو شهادة لكل البشر بأنَّ أجرة الخطية هي موت. ومن خلال عَمَل تقديم الذبيحة، كان الخُطاة يعترفون بذنوبهم ويُظهرون إيمانهم، مُتطلِّعين إلى الذبيحة العظمى والكاملة لابن اللّٰه التي رُمز إليها بذبائح الحيوانات. بدون كفَّارة ابن اللّٰه لن يمنح اللّٰه البركات أوَ الخلاص للخطاة. كان اللّٰه جادًّا بالتَّمسُّك بكرامة شريعته. ونتائج التَّعدِّي على تلك الشريعة كانت الانفصال المُرعب بين اللّٰه والخُطاة. سَمَحَ اللّٰه لآدم في حالة براءته وطهارته أن يكون له اتصال مُباشر ومستمر ومُفرح، بجابله. أمَّا بعدَ تعدِّيه، أصبَح اتِّصال اللّٰه بالبشرية عن طريق المسيح والملائكَة.

الفصل ٥

التَّحرير

هذا الفصل يعتمد على ما ورد في سفر الخروج الأصحاحات ٥-١٥.

كان للّٰه على مر العصور أُناس أمناء، حتى عندما كان عددهم أقل بكثير من الذين يتمرَّدون عليه. مثال ذلك، ثمانية فقط — نوح وعائلته — دخلوا الَسفينة التي أوحى اللّٰه لنوح ببنائها لحمايتهم من الطوفان. أخنوخ، سارَ مع اللّٰه في وقت انعَدَمَتْ فيه معرفة اللّٰه. دعا اللّٰه إبراهيم ليترك وطنه ويذهب إلى كنعان. وأحفاده الذين أصبحوا يُعرَفون بالإسرائيليين، عاشوا في كنعان إلى أن دفعتهم مجاعة للذهاب إلى مصر حيث استُعْبِدُوا فيها فيما بعد. فيما يلي القصة المُذهلة عن الكيفية التي حرَّر اللّٰه بها أولئك الذين عاشوا تحت تأثير العبودية المَصرية قبل أكثر من ألف عام قبل المسيح.

عاش بنوا إسرائيل لسنوات طويلة تحت عبودية المصريين. عدد قليل من العائلات الإسرائيلية ذهبت إلى مصر في بادئ الأمر، لكنهم أصبحوا جماعة كبيرة. ولكونهم مُحاطون بالوثنية، فَقَدَ العديد منهم معرفتهم بالإله الحقيقي ونسوا شريعته. وانضمّوا إلى المصريين في عبادتهم للشمس، والقمر، والنجوم، وعبادة الحيوانات والتماثيل التي هي من صُنع يد الإنسان.

مع ذلك، كان هنالك وسط العبرانيين بعض الَذين حافظوا على معرفتهم بالإله الحقيقي، صانع السَّمَاوَات والأرض. حَزَنَ الأمناء منهم، وفي ضيق نفوسهم صَرَخوا إلى الرَّب للنجاة من عبوديَّة المَصريين، وليُخرجهم من مصر ليتحرَّروا من العبادة الوثنية وتأثيراتها المُفسدة التي أحاطَتَ بهم.

مع أنَّ كثيرين من الإسرائيليين قد فَسَدوا من تأثير الوثنية، إلا أنَّ الأمناء منهم وقفوا صامدِين. لم يَخْفوا إيمانهم، بل أعلنوا للمصريين بكل جُرأة

أنَّهم يعبدون الإله الحقيقي والحي وحده. وقد ردَّدوا على أسماعهم براهين وُجوده وقُدرته منذ بدء الخليقة فصاعدًا. كانت للمصريين فرصة للتعرُّف على إيمان العبرانيين وإلههم. حاولَ المصريون نقض المبادئ التي آمَنَ بها الأمناء وعَبَدة الإله الحقيقي، إلا أنهم لم ينجحوا، وإذ فشلوا في تحقيق ذلك، حاولوا إغراء عبيد اللّه إما من خلال التهديدات، أو الوعد بالمكافآت والامتيازات، أو اللجوء إلى القسوة والمُعاملة السيئة.

كان الملكان الأخيران اللّذان اعتليا عرش مصر طُغاة مُستبدِّين، وقد استخدما القسوة في مُعاملة العبرانيين. حاول شيوخ إسرائيل أن يُنعشوا إيمان الإسرائيليين من خلال تذكيرهم بالوعد الذي قطعه اللّه لإبراهيم، والكلمات النبوية التي نطق بها يوسف قُبيل موته — إذ أعلن مُسبقًا أمر نجاتهم من مصر. أصغى البعض منهم وآمنوا، بينما نظر آخرون إلى الظروف المُحزنة المُحيطة بهم ولم يتأمَّلوا خيرًا ولا رجاءً.

تباهى فرعون بأنه يُريد أن يرى إلههم يُنقذهم من يديه. دمَّرت هذه الكلمات آمال كثير من الإسرائيليين. وظهر الوضع وكأنه كما صوَّره الملك ومستشاروه. كانوا يَعْلمون بأنَّ المصريين يُعاملونهم كعبيد، وكان لابدَّ لهم من أن يتحمَّلوا كل ما أراد مُسخِّروهم أن يوقعوه عليهم من اضطهاد. كان أَولادهم — الذُّكور — يُطارَدون ويُقتَلون، كما كانت حياتهم هم بأنفسهم عبئًا ثقيلاً. ومع ذلك، فقد كانوا يؤمنون ويعبدون إله السماء.

حينذاك، قارن الإسرائيليون أحوالهم بأحوال المصريين الذين لم يؤمنوا البتَّة بإله حي له القدرة لأن يُنجِّي وأن يُهلك. بعضهم عَبَد الأوثان والأصنام المصنوعة من الخشب أو الحجر، بينما عَبَدَ آخرون الشمس والقمر والنجوم. ومع ذلك فَقد كانوا أمَّة غنية وقويَّة. وبعض العبرانيين اعتقدوا أنه لو كان اللّه فوق كل الآلهة، لم يكن ليتركهم هكذا كعبيد لأمَّة عابدة للأوثان.

حان الوقت لأن يستجيب اللّه لصلوات شعبه المُستعبد وليُخرجهم من مصر باستعراض هائل لقوَّته حتى يُجْبر المصريين لأن يعترفوا بأنَّ إله العبرانيين، الذي يُبغضونه، هو فوق كل الآلهة. سيُمجِّد اللّه اسمه حتى يُمكِن لأمم أخرى أن تسمع عن قوَّته وترتعد لعظمة أعماله. وهكذا إذ

يُشاهد شعب اللّٰه ويَشْهَد أعماله العجيبة، سيَرجعون عن عبادتهم للأوثان ويعبدَون اللّٰه عبادة طاهرة وكاملة.

في إنقاذ شعب إسرائيل من مصر، أظهَرَ اللّٰه بجلاء للمصريين رحمته الخاصة لشعبه. وبما أنَّ فَرعون لن يقتنع بأيَّة وسيلة أخرى، رأى اللّٰه مُناسبًا أن يُنفِّذ أحكامه عليه، ليَعْلَم من خلال اختبار مُرّ أنَّ قوَّة اللّٰه تفوق كل ما عداها. سيُقدِّم اللّٰه بُرهانًا واضحا، لا لبس فيه، لكل الأمم لقوَّته الإلهية وعدالته، حتى يُعلَنْ اسمه في كل المسكونة. كان قصد اللّٰه أن تكون استعراضات القوَّة هذه لتقوية إيمان شعبه، وليجعل نسلهم يعبدونه بأمانة وحده دون سواه، ذلك الذي أجرى أعمال الرَّحمة العجيبة لهم.

بعد صدور أمر فرعون مُطالبًا الناس بصُنع قوالب بدون القش، أعلَنَ موسى لفرعون بأنَّ اللّٰه، الذي يَدَّعي فرعَون عدم معرفته به، سوف يُجبره لأن يخضع لمطالبه ويعترف بسلطته كالحاكم الأسمى.

الضربات — لم تكن معجزتا تحوُّل العصَا إلى ثعبان وتحول المياه إلى دم كافيتين لأن تُحرِّكا قلب فرعون ليُطلق الإسرائيليين، بل زادته بُغضًا للإسرائيليين. وأعمال السِّحر التي صنعَها السحرة التابعين له جعلته يعتقد بأنَّ موسى قد نفَّذ هذه المعجزات عن طريق السِّحر. إلا أنَّه عندما رُفعَت ضربة الضفادع، كان أمامه البُرهان القاطع بأنَّ الأمر لم يكن كذلك. كَان الرَّب يستطيع أن يجعل تلك الضفادع تتحوَّل إلى تُراب في لحظة، لكنه لم يفعل ذلك لئلا بعد إزالتها يقول الملك وشعبه بأنَّ ذلك جاء نتيجة السِّحر. ماتت الضفادع، فكوَّموها أكوامًا. ماتت الضفادع ورأوا أجسامها تتعفَّن أمامهم، مما أفسد رائحة الهواء. وهنا ظهر للملك ولشعبه برهان لم تستطع كل فلسفتهم الباطلة أن تنقضه أو تنكره، وهو أنَّ هذا العمل لم يكن بفعل السحر، بل كان دينونة من إله السماء.

لم يستطع العرَّافون والسَّحرة أن يُخرجوا البعوض بواسطة خِدَعهم وسحرهم — وهي الضربة التالية بعد الضفادع. لم يسمح لهم الرب بعَملها ولوَ حَتى مُجرَّد أن يتراءى لهم أو للشعب المصري أنَّ بمقدورهم إخراج

البعوض. لقد أزال الرب من أمام فرعون أي عذر للشك وعدم الإيمان. حتى أنَّ اللّٰه أجبر السَّحرة لأن يقولوا: «هذا إصبع اللّٰه».

تلت ذلك ضربة الذباب. لم يكن مثل الذباب، غير المؤذي، الذي يزعجنا في بعض فصول السنة. كان ذلك الذباب كبير الحجم ومسمومًا. وكانت لسعته تُسبِّب آلامًا شديدة للناس وللبهائم. فصل الرب شعبه عن المصريين ولم يسمح للذباب أن يظهر في مناطقهم.

أرسل الرب بعد ذلك ضربة الوباء على مواشي المصريين، وفي الوقت ذاته حفظ مواشي الإسرائيليين، فلم يمت منها ولا واحدة. جاءت بعدها ضربة الدمامل — وهي بثور طالعة في الناس وفي البهائم، ولم يستطع حتى العرَّافين والسَّحرة أن يحموا أنفسهم منها. بعد ذلك، أرسل الرب ضربة البَرَد مُختلطة بنار مع برق ورَعْد. لقد عُيِّن وقت كل ضربة قبل حدوثها، حتى لا يستطيع أحد القول بأنَّها حدثت بمحض الصدفة. أظهر الرَّبُّ للمصريين بأنَّ الأرض كلها هي تحت حُكم إله العبرانيين — الرَّعْد والبَرَدْ والعواصف تُطيع صوته. فرعون، ذلك الملك المُتَعَجْرِف، الذي سأل ذات مرَّة: «مَن هو الرب حتى أسمع لقوله؟» أخْضَعَ نفسه وقالَ: «أخطأت... الرَّبُّ هُوَ البار وأنا وشعبي الأشرار». توسَّل إلى موسى بأن يشفع له أمام اللّٰه ليُنهي ذلك البَرَد والبَرْق والرَّعد المُرعب.

بعد ذلكَ، أرسل الرب ضربة الجراد المُرعبة. اختار المَلك أن يتلقَّى الضربات بدلاً من أن يَخْضَع للّٰه ويُطلق الإسرائيليين من مصر. بدون نَدَم، نَظَر إلى كل مملَكته وهي تتقاسي تحت تلك الضربات المُخيفة. بعدها، أرسل الرب الظلام على مصر. لم يكن الظلام هو مُجرَّد حرمان الشعب من النور، بل إن الهواء كان خانقًا، حتى كان من الصعب على الإنسان أن يتنفس. ولكن العبرانيين، تمتَّعوا بالجوّ النقي والنور في مساكنهم.

جلب اللّٰه ضربة مُروِّعة أخرى على مصر، كانت أقسى من سابقاتها. بَقيَ الملك وكهنة عبادة الأوثان يُقاومون مطلب موسى، أما الشعب المَصري فقد أراد أن يُسمَح للعبرانيين بالرَّحيل. أنذر موسى فرعون وشعب مصر والإسرائيليين أيضًا حول طبيعة وأثر الضربة الأخيرة — موت

البكر في كل بيت. في تلك الليلة، الرهيبة بالنسبة للمصريين والمجيدة بالنسبة لشعب اللّٰه، تأسست فريضة الفصح.

كان من الصعب جدًا على الملك المصري وعلى الشعب المغرور وعابد الأوثان أن يقبلوا بمطاليب إله السماء. ضربة تلو الأخرى جاءت على مصر، ولم يخضع الملك إلا مُضطرًا بسبب الويلات المُخيفة التي نزلت عليه من غضب اللّٰه.

اقتربت كل ضربة أكثر من سابقاتها وأصبحت أكثر قسوة، وهذه الضربة ستكون أكثر رُعْبًا من سابقاتها. ولكن الملك المُتَعَجْرف كان غاضبًا جدًا، ورفض إخضاع نفسه. وعندما رأى المصريون الاستعدادات الكبيرة التي تحدث بين الإسرائيليين استعدادًا لتلك الليلة الرهيبة، سَخِرُوا من علامة رَشِّ الدَّم على عَتَبَات أبواب الإسرائيليين.

أطاع الإسرائيليون التعليمات التي أعطاها اللّٰه لهم، وبينما كان ملاك الموت يعبُر من بيت إلى بيت وسط المصريين، كان الاسرائيليون على استعداد تام لَلبدء برِحلتهم منتظرين أمر الملك المُتمرِّد ورجاله العظماء ليُخبروهم بالرَّحيل.

«فحدث في نصف الليل أنَّ الرب ضرب كل بكر في أرض مصر. من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الأسير في السجن وكل بكر بهيمة. فقام فرعون ليلاً هو وكل عبيده وجميع المصريين. وكان صُراخ عظيم في مصر، لأنه لم يكن بيت ليس فيه ميت.

«فدعا موسى وهارون ليلاً وقال: ‹قوموا اخرجوا من بين شعبي أنتما وبنو إسرائيل جميعًا، واذهبوا اعبدوا الرب كما تكلَّمتم. خذوا غنمكم أيضًا وبقركم كما تكلَّمتم واذهبوا. وباركوني أيضًا.› وألحَّ المصريون على الشعب ليُطلقوهم عاجلاً من الأرض لأنَّهم قالوا جميعنا أموات.

«فحَمَلَ الشعب عجينهم قبل أن يختمر، ومعاجنهم مصرورة في ثيابهم على أكتافهم. وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى. طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابًا. وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم. فسلبوا المصريين».

كَشَفَ الرَّبُّ ذلك لإبراهيم قبل أربعمائة سنة من تحقيقه: «فقال (الرَّب) لأبرام: اعلم يقينًا أنَّ نسلك سيكون غريبًا في أرض ليست لهم، ويُسْتَعْبَدون لهم. فيُذلّونهم أربعمئة سنة. ثُمَّ الأمة التي يُستَعبدون لها، أنا أدينها، وبعد ذلك يخرجون بأملاك جزيلة» (تكوين ١٥: ١٣، ١٤).

«وصعد معهم لفيف كثير أيضًا مع غنم وبقر، مواش وافرة جدًا». خرج بنو إسرائيل من مصر ومعهم أملاكهم التي لم تكنّ ملكًا لفرعون لأنهم لم يبيعوا ممتلكاتهم له. كان يعقوب وبنوه قد أخرجوا معهم غنمهم وبقرهم إلى مصر. هناك، تضاعفت أعداد الإسرائيليين وتزايدت أغنامهم وأبقارهم كثيرًا جدًا. كان اللّه قد أدان المصريين بإرسال الضربات عليهم، وجعلهم يستعجلون شعب اللّه للرحيل خارج مصر ومعهم كل ممتلكاتهم.

عمود النار — «وارتحلوا من سكوت ونزلوا في إيثام في طرف البريَّة. وكان الرَّب يسير أمامهم نهارًا في عمود سحاب ليهديهم في الطريق، وليلاً في عمود نار ليُضيء لهم. لكي يمشوا نهارًا وليلاً. لم يَبْرَح عمود السحاب نهارًا وعمود النار ليلاً من أمام الشعب».

بعد عدَّة أيام من خروج العبرانيين من مصر، أخبر المصريون فرعون أنَّهم هربوا ولن يعودوا ليخدموه مرة أخرى. وتأسفوا لأنهم سمحوا لهم بالخروج من مصر. لقد كانت خسارة كبيرة لهم لأنهم حُرِمُوا من خدمات الإسرائيليين لهم، وشعروا بالنَّدم لقبولهم بخروج الإسرائيليين من مصر. بالرغم من كل ما قاسوه من ضربات اللّه لهم، فقد قست قلوبهم جدًا بسبب تماديهم في التَّمرُّد. وهكذا قرَّروا مُطاردة الإسرائيليين لإعادتهم إلى مصر بالقوَّة. أخذ الملك جيشًا كبيرًا جدًا «ست مئة مركبة مُنتَخَبَة، وسائر مركبات مصر»، وسعوا وراء الإسرائيليين وأدركوهم حيث نزلوا عند البحر.

«فلما اقترب فرعون، رفع بنو إسرائيل عيونهم، وإذا المصريون راحلون وراءهم. ففزعوا جدًا، وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب. وقالوا لموسى: ‹هل لأنه ليست قبور في مصر أخذتنا لنموت في البرية؟ ماذا صَنَعْتَ بنا حتى أخرَجْتَنا من مصر؟ أليسَ هذا هو الكلام الذي كلَّمناك به في مصر

قائلين: كُفَّ عنَّا فنخدم المصريين؟ لأنه خير لنا أن نخدم المصريين مِن أن نموت في البرية.›

«فقال موسى للشعب: ‹لا تخافوا. قِفُوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم. فإنه كما رأيتم المصريينَ اليوم، لا تعودون ترونهم أيضًا إلى الأبد. الرب يُقاتل عنكم وأنتم تصمتون›.»

الخلاص عند البَحر الأحمر — «فقال الرب لموسى: ‹مالَكَ تصرخ إليَّ؟ قُل لبني إسرائيل أن يرحلوا. وارفع أنتَ عصاك ومُدَّ يدك على البحر وشُقَّه. فيدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة›». أراد اللّه لموسى أن يدرك أنه [أي اللّه] يعمل من أجل شعبه، وأن حاجتهم ستكون فرصته لتمجيد ذاته وخلاص شعبه. عندما سار الإسرائيليون إلى أبعد مدى يمكنهم الوصول إليه، كان على موسى أن يطلب منهم أن يتقدَّموا أكثر. كان عليه أن يستعمل العصا التي أعطاها له اللّه ليشقّ المياه.

«‹وها أنا أشدِّد قلوب المصريين حتى يدخلوا وراءهم. فأتمجَّد بفرعون وكل جيشه، بمركباته وفُرسانه. فيعرف المصريون أني أنا الرب حين أتمجَّد بفرعون ومركباته وفُرسانه›.

«فانتقل ملاك اللّه السائر أمام عسكر إسرائيل وسار وراءهم. وانتقل عمود السحاب من أمامهم ووقف وراءهم. فدخل بين عسكر المصريين وعسكر إسرائيل. وصار السحاب والظلام — (على معسكر المصريين) وأضاء الليل (على بني إسرائيل). فلم يقترب هذا إلى ذاك كل الليل.»

لم يستطع المصريون رؤية العبرانيين لأنَّ سحابة الظلام الكثيف كانت أماهم — السحابة التي كانت نورًا عظيمًا للإسرائيليين. بهذه الطريقة استعرض اللّه قوَّته لاختبار شعبه فيما لو كانوا سيثقون به بعدما قدَّم لهم مثل هذه الدلائل لرعايته ومحبته لهم، وأيضًا ليوبِّخ عدم إيمانهم وتذمُّرهم. «ومدَّ موسى يده على البحر. فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل. وجعل البحر يابسة وانشقَّ الماء. فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة، والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم.»

ارتفعت المياه ووقفت على الجانبين مثل الجدران الصامدة، بينما سار الإسرائيليون على أرض يابسة في وسط البحر.

كان جيش فرعون يحتفل خلال تلك الليلة لأنَّ الإسرائيليين أصبحوا مرَّة أخرى في قبضتهم. وظنُّوا أنَّ لا سبيل أمامهم للهروب، فالبحر الأحمر امتدَّ من أمامهم، وجيوش المصريين الكبيرة احتَشَدَت من خلفهم وبمُحاذاتهم. في الصباح، عندما وصلوا إلى البحر وتطلَّعوا، رأوا مسارًا وطريقًا يابسًا، كانت المياه مُنشقَّة، واقفة كالجدران على الجانبين، وكان الإسرائيليون في مُنتصف الطريق وسط البحر، سائرين على أرض يابسة. انتظر المصريون لبعض الوقت ليُقرِّروا ما عساهم أن يفعلوا. لقد أُصيبوا بخيبة أمل وتملَّكهم الغضب لأنَّ العبرانيين كانوا على وشك أن يُصبحوا في قبضتهم، وكانوا على يقين من إمكانية أسرهم، إلا أنَّ طريقًا غير مُتوقَّع فُتِحَ لهم في البحر. فقرَّروا أن يتعقَّبوهم.

«وتَبِعَهم المصريون ودخلوا وراءهم. جميع خيل فرعون ومركباته وفُرسانه إلى وسط البحر. وكان في هزيع الصبح أنَّ الرب أشرف على عسكر المصريين في عمود النار والسَّحاب، وأزعج عسكر المصريين. وخلع بَكَرْ (عَجَلات) مركباتهم حتى ساقوها بثقلة. فقال المصريون: ‹نهرب من إسرائيل، لأنَّ الرب يُقاتل المصريين عنهم›.»

تجرَّأ المصريون ودخلوا إلى الطريق الذي أعدَّه اللّه لشعبه، وسار ملاك الرب وسط جيوشهم ونزع عَجَلات مركباتهم. لقد أُصيبوا بكارثة. تباطأ تقدُّمهم كثيرًا، وبدأ القلق يُساورهم. تذكَّروا الضربات التي جلبها إله العبرانيين عليهم في مصر ليُجبرهم لأن يُطلقوا الإسرائيليين إلى خارج مصر، وظنوا أنَّ اللّه يُمكن أن يُسلِّمهم إلى يد الإسرائيليين. لقد أدركوا أن اللّه يُقاتل عن الإسرائيليين، وخافوا خوفًا عظيمًا، واستداروا ليهربوا منهم، إذ ذاك، «قال الرب لموسى: ‹مُدَّ يدك على البحر ليرجع الماء على المصريين، على مركباتهم وفرسانهم›.

«فمدَّ موسى يده على البحر، فَرَجَعَ البحر عند إقبال الصبح إلى حاله الدائمة، والمصريون هاربون إلى لقائه. فدفع الرب المصريين في وسط

البحر. فرجع الماء وغطَّى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذي دخل وراءهم في البحر. لم يبقَ منهم ولا واحد. وأما بنو إسرائيل، فمشوا على اليابسة في وسط البحر، والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم.

«فخلَّص الرب في ذلك اليوم إسرائيل من يد المصريين. ونظر إسرائيل المصريين أمواتًا على شاطئ البحر. ورأى إسرائيل الفعْل العظيم الذي صَنَعَهُ الرب بالمصريين. فخاف الشعب الرب، وآمنوا بالربِ وبعبده موسى».

إذ شاهد العبرانيون عمل اللّٰه العظيم في إهلاكه للمصريين، توحَّدوا معًا ورنَّموا للّٰه تسبيحة سامية المعنى ومليئة بالشكر والامتنان.

الفصل ٦

الشّريعة

هذا الفصل يعتمد على ما ورد في سفر الخروج الأصحاحات ١٩، ٢٠، ٢٥-٤٠.

الوصايا العشر

شريعة اللّه تُعلَن مِن على جبل سيناء — بعدما أعطى الرب تلك الدلائل على قوَّته، أخبرهم عن نفسه (مَنْ هو): «أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية». اللّه ذاته الذي أظهر قوَّته بين المصريين، أعطى الآن شريعته:

«لا يكن لك آلهة أخرى أمامي.

«لا تصنع لك تمثالاً منحوتًا، ولا صورة ما مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهنَّ ولا تعبدهن. لأني أنا الرب إلهك إله غيور، أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع مِن مُبغضيَّ. وأصنع إحسانًا إلى ألوف مِن مُحبي وحافظي وصاياي.

«لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً، لأنَّ الرب لا يبرئ مَن نطق باسمه باطلاً.

«أُذكر يوم السبت لتقدِّسه. ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك. وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك. لا تصنع عملاً ما، أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل أبوابك. لأنَّ في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، واستراح في اليوم السابع. لذلك بارك الرب يوم السبت وقدَّسه.

«أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يُعطيك الرب إلهك.

«لا تقتل.

«لا تزن.

«لا تسرق.

«لا تشهد على قريبك شهادة زور.

«لا تشته بيت قريبك. لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أَمَتَهُ ولا ثوره ولا حماره ولاَ شيئًا مما لقريبك».

الوصيتان الأولى والثانية التي تكلَّم بهما يهوه هما ضد الوثنية، لأنَّ عبادة الأصنام تقود الإنسان إلى مدىً بعيد في الخطية والتمرُّد، وقد نَجَم عنها تقديم ذبائح بشرية. يريد اللّٰه أن يُحذِّر من الاقتراب ولو قليلاً من مثل هذه النجاسات. أُعطيَت الوصايا الأربعة الأَولى لتُظهرَ للإنسان واجَبه نحو اللّٰه. والوصية الرابعةَ هي حلقة الوصل بين اللّٰه العظيم وبين البشرية. لقد أُعطيَ السبت بصورة خاصة لخير الإنسان ولإكرام اللّٰه. أما الوصايا الست الأخَيرة، فهي تُظهر واجب واحدنا تجاه الآخر.

كان قصد اللّٰه أن يكون السبت علامة بين اللّٰه وشعبه إلى الأبد. معنى أن يكون السبت علامة هو أنَّ كل الذين يحفظون السبت سيُظهرون بذلك أنهم يعبدون الإله الحي، خالق السَّمَاوَات والأرض. كان القصَد هو أن يكون السبت علامة بين اللّٰه وشعبه ما دامت إرادته هي أن يكون له شعب على الأرض ليعبدوه.

«وكان جميع الشعب يَرَون الرعود والبروق وصوت البوق والجبل يدخن. ولما رأى الشعب، ارتعدوا ووقفوا من بعيد. وقالوا لموسى: ‹تكلَّم أنت مَعنا فنسمع. ولا يتكلَّم معنا اللّٰه لئلاَ نموت›.

«فقال موسى للشعب: ‹لا تخافوا. لأن اللّٰه إنما جاء لكي يمتحنكم، ولكي تكون مخافته أمام وجوهكم حتى لا تُخطئوا. فوقف الشعب من بعيد، وأما موسى فاقترب إلى الضباب حيث كان اللّٰه›».

«فقال الرب لموسى: ‹هكذا تقول لبني إسرائيل: أنتم رأيتم أنني من السماء تكلَّمتُ معكم›». إنَّ حضور اللّٰه المهيب في سيناء، واضطراب الأرض الذي أَحْدَثه حضوره، الرعود المُدوِّية والبروق التي رافقت هذا

الحضور الإلهي، أثَّرت على أذهان الشعب وطَبَعَت فيها مشاعر الخوف والرَّهبة والوقار لجلال اللّٰه وقدسيته، حتى أنهم تراجعوا تلقائيًا من حضرة اللّٰه المهيبة — خوفًا من عدم قدرتهم على احتمال مجده العظيم.

خطر عبادة الأوثان — مرة أخرى، أراد اللّٰه أن يحمي الإسرائيليين من عبادة الأوثان. قال لهم: «أنتم رأيتم أنني من السماء تكلَّمتُ معكم. لا تصنعوا معي آلهة فضة، ولا تصنعوا لكم آلهة من ذهب». كانوا مُعرَّضين لخطر مُحاكاة المصريين في صنع أصنام ترمز إلى اللّٰه.

أراد اللّٰه من شعبه أن يُدرك أنه هو وحده الذي يستحق عبادتهم. وعندما يتغلَّبون على أمم من عبدة الأوثان المحيطين بهم، عليهم ألا يحتفظوا بأي تمثال من تماثيل عبادتهم، بل يهدمونها بالكامل. كان كثير من تلك الأصنام الوثنية غالية الثمن وجميلة الصنع وقد اعتاد بعض الذين شاهدوا عبادة الأصنام المُنتشرة على نطاق واسع في مصر أن يراعوا تلك التماثيل الصَّماء بشيء من الوقار. أراد اللّٰه أن يُدرك شعبه أنه بسبب وثنية الأمم — التي اقتادتهم إلى كل صنوف الشر والرذيلة، فإنه سيستخدم شعبه كأداة لمُعاقبة الأمم الوثنية وتدمير آلهتهم.

بعد أن استلم موسى الأحكام من الرب وكتبها للشعب، وأيضًا المواعيد المشروطة بالطاعة، قال له الرب: «اصعد أنت إلى الرب، أنت وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل، واسجدوا من بعيد. ويقترب موسى وحده إلى الرب، وهم لا يقتربون. وأما الشعب، فلا يصعد معه.

«فجاء موسى وحدَّث الشعب بجميع أقوال الرب وجميع الأحكام. فأجاب جميع الشعب بصوت واحد وقالوا: ‹كل الأقوال التي تكلَّم بها الرب نفعل›» (خروج ٢٤: ١-٣).

لم يكتب موسى الوصايا العشر، بل الأحكام التي أراد اللّٰه منهم أن يحفظوها، والمواعيد المشروطة بطاعتهم له. قرأ موسى هذه الأحكام والمواعيد للشعب، فعاهدوا أنفسهم أن يطيعوا كل الكلمات التي تكلَّم بها الرَّب. ثم كَتَبَ موسى تعهُّدهم المهيب في كتاب، وقدَّم مُحرقة للّٰه عن الشعب. «وأخذ كتاب العهد وقرأ في مسامع الشعب. فقالوا:

‹كل ما تكلَّم به الرب نفعل ونسمع له›. وأخذ موسى الدَّم ورشَّ على الشعب وقال: ‹هوذا دم العهد الذي قطعه الرَّبُّ معكم على جميع هذه الأقوال›» (خروج ٢٤: ٧، ٨).

شريعة اللّٰه الأبدية — كانت شريعة اللّٰه موجودة قبل خليقة الجنس البشري. وكانت الملائكة تحاكم بتلك تلك الشريعة ذاتها. وقد سَقَطَ الشيطان لأنه تعدَّى على مبادئ حكم اللّٰه. بعد أن خلق اللّٰه آدم وحواء، أعلن لهما شريعته التي لم تكن قد كُتِبَت بعد، لكنَّ يهوه علَّمها لهما.

أسسَّ اللّٰه السبت، سبت الوصيَة الرابعة، في جنة عدن. فبعد أن خلق اللّٰه العالم وخلق الجنس البشري على الأرض، جعل لهم السبت. وبعد خطيئة آدم وسقوطه، لم تتغير الوصايا العشر. إن مبادئ الوصايا العشر كانت موجودة قبل السقوط. وبعد السقوط، لم تتغير تلك المبادئ، إلا أنَّ اللّٰه أعطى أحكامًا إضافية لمُواجهة الجنس البشري في حالته الساقطة.

أسّس اللّٰه نظامًا يتطلَّب تقدمة ذبائح من الحيوانات ليظلَّ ماثلاً أمام أعين البشرية الساقطة، ذلك الحق الذيَ لم تصدِّقه حواء بخدعة من الحية: بأنَّ أجرة الخطية هي موت. إنَّ التَّعدي على شريعة اللّٰه أوجَب موت المسيح كفدية ليفتح طريقًا للخطاة لينجوا من العقاب، ولحفظ كرامة شريعة اللّٰه. كان القصد من نظام الذبائح هو أن يُعلِّم الخَطاة التواضع، بالنظر إلى حالتهم الساقَطة، ويقودهم للتوبة والثقة باللّٰه وحده بواسطة المخلص الموعود به للعفو عن تعدِّياتهم السابقة لشريعة اللّٰه.

علَّم آدم نسلَهُ شريعة اللّٰه، التي سُلِّمَت للأمناء من بعده مع تعاقب الأجيال. ولكن التَّمادي في انتهاك شريعة اللّٰه قادَ إلى طوفان المياه على الأرض. حَفظَ نوح وعائلته شريعة اللّٰه، ولأنهم فعلوا الصواب نجوا في الفلك بمعجزة من اللّٰه. علَّم نوح نسله الوصايا العشر. من آدم فصاعدًا، حافظ اللّٰه لنفسه على شعب كُتِبَت شريعة اللّٰه في قلوبهم. يقول اللّٰه عن إبراهيم: «إبراهيم سَمِع لقَولي وحَفِظَ ما يُحْفَظُ لي: أوامري وفرائضي وشرائعي» (تكوين ٢٦: ٥).

ظهر اللّٰه لإبراهيم وقال له: «أنا اللّٰه القدير. سر أمامي وكُن كاملاً، فأجعل عهدي بيني وبينك، وأكثّرك كثيرًا جدًا» (تكوين ١٧: ١، ٢). «أُقيم عهدي بيني وبينك، وبين نسلك من بعدك في أجيالهم، عهدًا أبديًا، لأكون إلهًا لك ولنسلك من بعدك» (تكوين ١٧: ٧).

بعد ذلك، طلب اللّٰه من إبراهيم ونسله الختان، وهي عملية قطع حلقة من اللحم، لتكون رمزًا بأنَّ اللّٰه قد قطعهم وعزلهم عن جميع الأمم ليكونوا شعبه المُميَّز. وبهذه العلامة، تعهَّدوا بكل وقار أن لا يتزاوجوا مع الأمم الأخرى، إذ بفعلهم ذلك، سيفقدون وقارهم للّٰه ولشريعة اللّٰه المقدسة، وسيُصبحون مثل الأمم المحيطة بهم من عبدة الأوثان.

بممارستهم فريضة الختان، كانوا يُظهرون من جانبهم موافقتهم رسميًا على شروط العهد الذي قطعه اللّٰه مع إبراهيم، ليكونوا مُنفصلين عن كل الأمم وليكونوا كاملين. لو أنَّ نسل إبراهيم ظلوا منفصلين عن الأمم الأخرى، لأصبحوا غير مُعرَّضين للإغواءات الوثنية. ولو ظلوا مُحافظين على انفصالهم عن باقي الأمم، لأزالوا من طريقهم تجربة عظيمة للانخراط في الممارسات الخاطئة لتلك الأمم والتمرُّد على اللّٰه. ولكنهم ولمدىً بعيد، فقدوا سيرتهم المُقدَّسة والمتميِّزة بانغماسهم مع الشعوب الأخرى المحيطة بهم. ولكي يؤدِّبهم اللّٰه، جَلَبَ عليهم مَجاعة أَجبَرَتهُم للنزول إلى مصر للإبقاء على حياتهم. ولكن من أجل عهد اللّٰه مع إبراهيم، لم يتخلَّى عنهم حين كانوا في مصر. سَمَحَ اللّٰه للظلم والاضطهاد أن يقعا عليهم من قِبَل المصريين حتى يتوجَّهوا إليه في ضيقهم، ويقبلوا حُكْمَهُ العادل والرحيم، ويطيعوا مطاليبه.

كان عدد العائلات التي نزلت إلى مصر قليل في أوَّل الأمر، ثم تضاعفوا إلى أعداد كبيرة. اهتمَّ بعضهم بتعليم أبنائهم شريعة اللّٰه، ولكن كثيرين من الإسرائيليين شاهدوا الكثير من عبادة الأوثان، حتى أنَّ أفكارهم عن شريعة اللّٰه قد أصبحت مُشوَّشة. صَرَخ المؤمنون الذين كانوا ما زالوا يُكرمون اللّٰه، صرخوا إليه في كَرْبهم ليكسر أسرَهُم ويُخرجهم من أرض العبودية حتى يُصبحوا أحرارًا ليعبدوه ويخدموه. أصغَى اللّٰه لِصرَخاتهم، وأقام موسى

كوسيلة (أو واسطة) لإنقاذ شعبه. بعد أن تركوا مصر، وشقَّ اللّٰه مياه البحر الأحمر أمامهم، امتَحَنَهم الربّ ليرى ما إذا كانوا سيثقون به، ذاك الذي أخرجهم كأمَّة من قَلْب أمَّة أخرى، بعلامات وعجائب. ولكنهم فشلوا في احتمال الاختبَار. فتذمَّروا عَلى اللّٰه بسبب صعوبات قابلتهم في الطريق، وأرادوا العودة مرَّة أخرى إلى مصر.

مكتوبة على لوحي حجر — لكي لا يترك لهم عُذرًا، تنازل اللّٰه بنفسه من علياء سمائه ونزل على جبل سيناء، مُلتَحفًا بالمجد ومُحاطًا بملائكته. وفي مشهد رهيب ومهيب، أعْلَنَ لهم شريعته، الوصايا العشر. لم يعهد بتعليمها لهم من قِبَل أي فرد آخر، ولا حتى ملائكته، لكنه هو نفسه نطق بشريعته بصوت مسموع حتى يستطيع جميع الشعب أن يسمعه. وحتى بعد ذلك الحَدَث المهول، لم يعهد بها إلى شعبه أصحاب الذاكرة الضعيفة المُعرَّضة لنسيان مطاليبه، لكنه كتبها بإصبعه على لوحي حجر. أراد بذلك أن يمنع كل الاحتمالات التي يمكنهم بواسطتها أن يخلطوا شريعته المقدسة مع أي تقاليد بشرية، أو أن يُشوِّهوا أحكامه بالممارسات البشرية.

ثم اقترب أكثر نحو شعبه، الذين انقادوا بكل سهولة للضلال، ولم يترك لهم الوصايا العشر فقط. فقد أمَرَ موسى بكتابة أحكام وفرائض من خلال توجيهات إلهيَّة، مُعطيًا إيَّاه إرشادات تفصيلية حول ما يُريدهم وما يطلب منهم أن يعملوا ويحيوا به. وبهذا الأسلوب، حَرَسَ اللّٰه وحمى الوصايا العشر التي نقشها على لوحي حجر. أعطى اللّٰه هذه الإرشادات المُحدَّدة وهذه الأحكام حتى يجذب البشرية الخاطئة ويقودها لإطاعة الشرائع الأخلاقية التي يتعرضون دائمًا لانتهاكها.

لو كان الجنس البشري قد حَفَظَ شريعة اللّٰه، كما أُعْطِيَت لآدم بعد السقوط، وحُفِظت في الفلك بواسطة نوح، وأدركها إبراهيم، لما كان هنالك حاجة لفريضة الختان. ولو حفظ نسل إبراهيم العهد الذي كانت ترمز إليه فريضة الختان، لما دخلوا أبدًا في عبادة الأوثان، ولما سُمِح لهم بالنزول إلى مصر، ولما كان من حاجة للّٰه أن يُعلِن شريعته من على جبل

سيناء وينقشها على لوحي حجر، ويحرسها ويحميها بواسطة إرشادات مُحدَّدة في أحكام وفرائض موسى.

الأحكام والفرائض — كَتَبَ موسى هذه الأحكام والفرائض التي خَرَجَتْ من فم اللّٰه عندما كان معه على جبل سيناء. لو كان شعب اللّٰه أطاع مبادئ الوصايا العشر، لما كانوا في حاجة لتلك التعليمات المُحدَّدة التي أعطاها اللّٰه لموسى حول واجبهم نحو اللّٰه ونحو بعضهم البعض والتي كتبها موسى في كتاب. تلك التعليمات المحددة التي أعطاها الرب لموسى حول واجب الشعب واحدهم تجاه الآخر وتجاه الغرباء كانت هي مبادئ الوصايا العشر بأسلوب بسيط وبشكل مُحدَّد، حتى لا يُخطئوا في فهمها.

أعطى اللّٰه موسى توجيهات خاصة حول التقدمات الطقسية التي كانت ستنتهي عند موت المسيح. إنَّ نظام الذبائح ذاك كان يرمز ويُلقي الظلال على تقدمة المسيح كحَمَل بلا عيب.

أسَّس الرب نظام الذبائح مع آدَم بعد سقوطه، وعلَّم آدم نسله ذلك النظام. إلا أنَّ هذا النظام فسد قبل الطوفان من قِبَل أولئك الذين فصلوا أنفسهم عن اتباع اللّٰه الأمناء وبَنوا لأنفسهم برجَ بابل. لقد قدَّموا ذبائح لآلهة من صنع أيديهم بَدَلاً من اللّٰه — إله السماء. لقد قدَّموا تلك الذبائح ليسَ لإيمانهم بالمُخلِّص الآتي، لكن لاعتقادهم بأنَّ عليهم أن يرضوا آلهتهم من خلال تقديمهم الكثير من الذبائح على مذابحهم المُلوَّثة بالعبادة الوثنية الفاسدة. قادتهم تلك الخرافات إلى الكثير من التجاوزات على شريعة اللّٰه. لقد علَّموا الشعب بأنَّهُ كُلَّما زادت قيمة الضحيَّة، زاد معها رضى الآلهة الوثنية، وَعَظُمَ معها الرَّخاء والغنى لأمَّتهم. أدَّى ذلك إلى تقديم الذبائح البشرية إلى تلك الأصنام الصمَّاء. ولِلتحكُّم بأعمال الشعب، كان لتلك الأمم نُظُم وقوانين بالغة القسوة. وقد صدرت تلك الأنظمة والقوانين من قِبَل أشخاص لم تعمل نعمة اللّٰه في قلوبهم لتليِّنها. ففيما كانوا يغضّونَ الطَرف عن أعظم الجرائم انحطاطًا، كان القادة يوقعون أقسى العقوبات على أي حادث أو إساءة بسيطة.

كان موسى يُدرك تلك الأمور عندما قال للإسرائيليين: «انظر. قد

علَّمتكم فرائض وأحكامًا كما أمرني الرب إلهي، لكي تعملوا هكذا في الأرض التي أنتم داخلون إليها لكي تمتلكوها. فاحفظوا واعملوا. لأن ذلك حكْمَتكم وفطنتكم أمام أعين الشعوب الذين يسمعون كل هذه الفرائض، فيَقولون: ‹هذا الشعب العظيم إنما هو شعب حكيم وفطن.› لأنه أي شعب هو عظيم له آلهة قريبة منه كالرب إلهنا من كل أُدعيتنا إليه؟ وأي شعب هو عظيم له فرائض وأحكام عادلة مثل كَل هذه الشريعة التي أنا واضع أمامكم اليوم؟» (تثنية ٤: ٥-٨).

المَقْدِس الأرضي

صُنعَت خيمة الاجتماع حسب أمر اللّه. أقام الرب صُنَّاعًا مَهَرَة وأهَّلهمَ بقُدْرَات فوق الطبيعة لصُنْع ذلك العمل الذي يتطلَّب الدِّقَّة والمهارة. لم يترك اللّه لموسى ولا للصُّنَّاع أن يضعوا مُخطَّط البناء وشكله. اللّه ذاته هو الذي أبْدَعَ الخُطَّة وأعطاها لموسى بتوجيهات مُحدَّدة بالنسبة للحجم والشكل والمواد المُستخدمة، كما أنَّ اللّه ذاته حدَّد كل قطعة أثاث توضع فيه. أظهَرَ اللّهُ لموسى نموذجًا مُصغَّرًا للمَقْدس السماوي، وأمَرَهُ أن يصنع كل شيء حسب المثال الذي أُظهرَ له علَى الجبل. كتب موسى كل هذه التعليمات في كتاب وقرأها أمَام أصحاب النفوذ من الشعب.

بعد ذلك، طَلَبَ الرَّب من الشعب أن يُحضروا تقدمة اختيارية وطوعيَّة ليصنعوا له مسكنًا لِيَسْكُنَ في وسطهم. «فخرج كل جماعة بني إسرائيل من قُدَّام موسى. ثُمَّ جاء كل مَن أنهضه قلبه، وكل مَن سَمَحَتْهُ روحه. جاءوا بتقدمة الرب لعَمَل خيمة الاجتماع وكل خدمتها وللثياب المقدسة. وجاء الرجال مع النساء. كُلُّ سموح القلب جاء بخزائم وأقراط وخواتم وقلائد، كل متاع من الذهب. وكل مَن قدَّم تقدمة ذهب للرب».

لزم بناء المقدس استعدادات عظيمة وكثيرة الكلفة، وكانت هنالك حاجة إلى كمية كبيرة من المواد النفيسة والغالية الثمن. ومع ذلك،

فالرب لم يقبل سوى التقدمات الاختيارية والطوعيَّة. إن الشروط الأولى لبناء مسكن اللّٰه كانت تكريس النفس الكامل للعمل للّٰه والتضحية من القلب. وإذ كان العمل في بناء المقدس يتقدَّم، ظلَّ الشعب يُحضر تقدماته إلى موسى، وكان بدوره يُعطيها إلى الصُّنَّاع. فجاء الصُّنَّاع الحُكماء — بعد أن تفحَّصوا كل العطايا والتقدمات، وكلَّموا موسى قائلين بأنَّ ما قدَّمه الشعب يكفي ويزيد عن حاجة العمل. فأمر موسى أن يرفعوا صوتًا في المَحلَّة قائلين: «لا يصنع رجل أو امرأة عملاً أيضًا لتقدمة المقدس. فامتنع الشعب عن الجلب».

كُتِبَت من أجل الأجيال اللاحقة — إنَّ تذمرات بني إسرائيل والعقوبات التي أَوقعها غضب اللّٰه عليهم بسبب تعدِّياتهم سُجِّلَت في التاريخ المُقدَّس لفائدة شعب اللّٰه الذين سيعيشون على الأرض في الأزمنة اللاحقة. والأكثر أهمية من ذلك، هو أنَّها تُقدِّم إنذارًا للذين يعيشون قرب نهاية الزمن. وبالإضافة لذلك، فإنَّ تكريسهم وغيرتهم ونشاطهم وسخاءهم في تقديم التقدمات الاختيارية والطوعيَّة لموسى، سُجِّلَت من أجل فائدة شعب اللّٰه. إنَّ سماحة روحهم وفرحهم في إعداد المواد المَطلوبة لبناء خيمة الاجتماع، مثال يُحتذى به لكل مَن يُحبُّون عبادة اللّٰه محبة حقيقية. إنَّ الذين يُقدِّرون بَرَكة حضور اللّٰه المُقدَّس، عليهم أن يُظهروا اهتمامًا وغيرةً ونشاطًا أكثر في العَمَل المُقدَّس يتناسب مع حقيقة إدراكهم بأن البركات السماوية التي تمنح لهم، تسمو بل تفوق وسائل راحتهم الأرضية. عليهم أن يدركوا أنهم يُعدُّون بيتًا للّٰه.

من المهم أن يكون البناء الذي يُعَدُّ خصيصًا للّٰه للقاء شعبه أن يتم الإعداد له بكل عناية — أن يكون مُريحًا وأنيقًا ومُناسبًا، لأنه يجب عليهم أن يُكرِّسوه للّٰه ويُقدِّمونه له، طالبين منه البقاء في ذلك البيت ليُقدِّسه بحضوره المقدس. عليهم أن يعطوا اللّٰه من القلب وبسخاء لإتمام العمل، حتى يتمكَّن العاملون أخيرًا من أن يقولوا: ‹لا تُحضروا تقدمات أكثر›.

حسب المثال — بعد انتهائهم من بناء خيمة الاجتماع، تفحَّص موسى العمل بكامله، مُقارنًا إيَّاه بالمثال والتعليمات التي كان قد تسلَّمها من

اللّٰه. فرأى أنَّ كل جزء منها يُتوافق مع المثال، وبارك الشعب.

أعطى اللّٰه لموسى نموذجًا أو مثالاً للتابوت، مع إرشادات مُفصَّلة عن طريقة صُنْعه. شُيِّدَ التابوت ليحتوي على لوحي الحجر اللذين نقش اللّٰه عليهما الوصَايا العشر بإصبعه. كان يُشبهُ الصندوق، ومُغشَّى من الداخل ومن الخارج بالذهب النَّقي الخالص، وقدَ زُيِّن في أعلاه بأكاليل مَن الذهب. كان غطاء هذا الصندوق المُقدَّس أو التابوت يُدعى: غطاء الرَّحمة. وهذا كان مصنوعًا من كتلة واحدة من الذهب النَّقي الخالص. وكان عليه كروبان من الذهب، وكل منهما واقفَ على جانب من جانبي التابوت. كان وجه كَل منهما تجاه الآخر وهما ينظران إلى أسفل بكل وقار إلى غطاء التابوت — غطاء الرَّحمة. كان ذلك يرمز إلى جميع الملائكة السماويين وهم ينظرون بوقار إلى شريعة اللّٰه المودعة في التابوت في المقدس السماوي. كان للكروبين أجنحة. وكان أحد أجنحة كل من الملاكين مُنبسطًا إلى أعلى، بينما الجناح الثاني كان يُغطِّي جسم الملاكَ. صُمِّم التابوت الأرضي على مثال التابوت الحقيقي في السماء. هناك، بجانب التابوت في السماء، يقف ملاكان أحياء على طرف كُلٍّ من جانبي التابوت، يبسط كل ملاك منهما أحد أجنحته ليُظلِّل غطاء الرحمَة وليمتد فوقه، بينما تُغطِّي الأجنحة الأخرى هيأتهما تعبيرًا عن الوقار والوداعة والتواضع.

طَلَبَ اللّٰه من موسى أن يحفظ لوحي حجر الشريعة في التابوت الأرضي. كان يُطلق على لَوحي الحجر اسم لوحي العهد، والتابوت سُمِّي بتابوت العهد لأن الوصايا العشر كانت تحتوي على عهد اللّٰه مع المؤمنين به.

حُجْرَتان . كانت خيمة الاجتماع تتألف من حُجرتين أو قسمين، مفصولتين بحجاب. وكان الأثاث كله مصنوعًا من الذهَب النَّقيّ الخالَص أو كان مُغشَّى بالذّهب. كانت ستائر خيمة الاجتَماع متنوِّعة الألوان، ذات تنسيق رائع، نُسجَ بينَ خيوطها صُورًا للكروبيم بخيوط من ذهب وفضة. كانت هذه ترمُز إلى ربوات الملَائكة المُتَّصلين بالعمل فيَ المقدس السماوي والذين هم ملائكة خادمة لشعب اللّٰه على الأرض.

خلف السِّتارة الثانية أو الحِجاب، وُضع تابوت العهد. وأمام التابوت

المقدس، وُضِعَت الستارة النفيسة، والرائعة الجمال. لم تصل هذه الستارة أو الحِجاب إلى سقف الخيمة أو البناء، وكان من الممكن رؤية مجد اللّٰه الذي كان فوق غطاء الرحمة من كلا القسمين، ولكن بدرجة أقل كثيرًا من خلال القسم الأول.

أمام التابوت مُباشرة، ولكن منفصلة عنه بواسطة الحجاب، وُضع مذبح البخور الذَّهبي. والنار على هذا المذبح أوقدها اللّٰه ذاته، وعُزِّزَت بقداسة من خلال إمدادها بالبخور المُقدَّس الذي ملأ حُجرات الخيمة وخارجها لمسافة بعيدة بالعطر المُميَّز ليلاً ونهارًا. عندما كان الكاهن يُقدِّم البخور أمام الرَّب، كان ينظر من وراء الحجاب إلى غطاء الرحمة. ومع أنه لم يكن يستطيع رؤيته، إلا أنه كان يعلم أنه موجود هناك. وعندما يرتفع البخور مثل سحابة، كان مجد اللّٰه يهبط على غطاء الرحمة ويملأ قدس الأقداس، ويُمكن رؤيته من القُدس. غالبًا ما كان مجد اللّٰه يملأ القسمين — القدس وقدَس الأقداَس — لدرجة لا يستطيع معها الكاهن أن يُمارس طقوس خدمته، مضطرا للوقوف عند باب الخيمة.

إنَّ الكاهن الموجود في حُجرة القدس، الذي يوجِّه صلاته بالإيمان نحو غطاء الرحمة الذي لم يستطع أن يراه من خلال الحجاب، يرمز إلى شعب اللّٰه وهم يُوجِّهون صلواتهم نحو المسيح عند غَطاء الرحمة في المقدس السماوي. إنهم لا يستطيعون رؤية شفيعهم (المسيح) بأعينهم الَطبيعية، ولكن بأعين الإيمان، يستطيعون أن يروا المسيح واقفًا عند غطاء الرحمة. إنَّهم يُوجِّهون صلواتهم إليه مع ثقتهم بنيل استحقاق شفاعته لهم.

لم يكن للحجرتين أو القسمين المُقدَّسين نوافذ تسمح بدخول النور. كانت المنارة أو الشمعدان مصنوعة من الذهب النَّقي الصافي وكانت تضيء ليلاً ونهارًا، ناشرةً ضوءها في الحجرتين. كان نور المصابيح أعلى المنارة ينعكس على الَجدران المُغشَّاة بالذهب الموجودة على جوانب البناء وعلى الأثاث المقدس وعلى الستائر ذات الألوان الزاهية وأشكال الكروبين المنسوجة بخيوط من الذهب والفضة. كان المنظر مجيدًا يفوق

الوصف. وما من لغة تقدر على وصف الجمال، والرِّقَّة، والمجد المُقدَّس الذي تمثَّل فيَ هاتين الحجرتين. إنَّ الذهب في خيمة الاجتماع عَكَس ألوان الستائر التي ظهرت متعدِّدة كألوان قوس القزح.

كان رئيس الكهنة يستطيع دخول قدس الأقداس مرَّة واحدة في السنة بعد استعداده استعدادًا دقيقًا جدًا. لم تستطع عين بشرية أن تتطلع إلى البهاء المقدس الذي يملأ تلك الحُجرة سوى رئيس الكهنة، لأنه كان المسكن الخاص لمجد اللّٰه المنظور. كان رئيس الكهنة يدخل تلك الحُجرة مرتعدًا، بينما الشعب ينتظر، في خضوع وسكون، عودته. كانوا يطلبون بركة اللّٰه من كل قلوبهم. تحدث الرب مع رئيس الكهنة من على غطاء الرحمة. إذا بَقي رئيس الكهنة داخل قدس الأقداس لفترة أَطول من المعتاد، كان الشعب يشعر بخوف شديد، خشيةً من أن يكون مجد اللّٰه قد قتله بسبب خطاياهم أو بسبب خطية اقترفها رئيس الكهنة. ولكن، عندما يسمعون رنين الأجراس على ثيابه، كانوا يشعرون بارتياح عظيم. فيخرج بعدها رئيس الكهنة ويبارك الشعب.

بعدما اكتمل العمل، «غطَّت السحابة خيمة الاجتماع وملأ بهاء الرب المسكن. فلم يقدر موسى أن يدخل خيمة الاجتماع، لأن السحابة حلَّت عليها وبهاء الرب ملأ المسكن». لأنَّ «سحابة الرب كانت على المسكن نهارًا. وكانت فيها نار ليلاً أمام عيون كل بيت إسرائيل في جميع رحلاتهم».

بُنِيَتْ خيمة الاجتماع بكيفية تجعل فكّ أجزائها وحملها مع الإسرائيليين أمرًا ميسورًا.

السحابة المرشدة — وجَّه الرب شعب اسرائيل خلال كل رحلاتهم وسط الصحراء. عندما كان لصالح الشعب ولمجد اللّٰه أن ينصبوا خيامهم في مكان مُعيَّن ويقيموا فيه، كان اللّٰه يُبيِّن إرادته لهم بأن يجعل عمود السحاب يستقر مُنخفضًا فوق خيمة الاجتماع مباشرةً. ويبقى هناك إلى أن يريد اللّٰه لهم أن يعاودوا الترحال. حينئذ، ترتفع سحابة المجد عاليًا من فوق الخيمة، فيبدأوا الرحيل.

حافظ الشعب خلال كل رحلاتهم على النظام التام. كانت كل قبيلة

تحمل راية — عَلَمًا أو شعارًا — عليها رمز لأب العائلة. وكان الأمر على كل قبيلة أن تنصب خيامها بجانب رايتها الخاصة. وعندما كانوا يرتحلون، كانت القبائل المختلفة تسير بانتظام، كل قبيلة تحت لوائها الخاص. وعندما كانوا يستريحون من ترحالهم، تُنصَب خيمة الاجتماع، وبعدها تنصب القبائل المختلفة خيامها بنظام وتنسيق حول الخيمة وعلى مسافة محدَّدة منها، وكما أمر اللّٰه.

عندما كان الشعب يستأنف الرحيل، كان تابوت العهد يُحمَل أمامهم. «وكانت سحابة الرب عليهم نهارًا في ارتحالهم من المحلَّة. وعند ارتحال التابوت، كان موسى يقول: ‹قم يا رب. فلتتبدد أعداؤك، ويهرب مبغضوك من أمامك›. وعند حلوله كان يقول: ‹ارجع يا رب إلى ربوات ألوف إسرائيل›».

الفصل السابع

المُخَلِّص (المُنْقِذْ)

حان الوقت لأن يأخذ يسوع الطبيعة البشرية، ليضع نفسه كإنسان، ويختبر تجارب إبليس.

لقد وُلدَ بدون مظاهر العَظَمَة. وُلدَ في حظيرة مُقمَّطًا في مذود. ومع ذلك، نالَ مولده كرامة فاقت أضعافَ ما ناله أي مخلوق بشري. أذاعت ملائكة السماء خبر ولادته للرعاة، وأحاط الملائكة نور مجد اللّٰه وهم يُعلنون مولده. عزف جند السماء الألحان مُمَجِّدين اللّٰه. حملوا بانتصار بشارة مجيء ابن اللّٰه إلى عالم ساقط لإنجاز عمل الخلاص، وبموته الذي سَيجلب السلام والمسرَّة والحياة الأبدية للبشرية. كرَّم اللّٰه الآبَ مجيء ابنه، والملائكة عبدته.

معمودية المسيح — بعد حوالي ثلاثين سنة، حامَت ملائكة اللّٰه حول مشهد معمودية المسيح. نزل الروح القدس على شكل حمامة واستقرَّت عليه، وبينما وقف الشعب في دهشة عظيمة، وعيونهم مُركَّزة عليه، سَمعُوا صوت اللّٰه الآب من السماء قائلاً: «أنت ابني الحبيب، الذي به سررت» (مرقس ١: ١١).

لم يكن يوحنا مُتيقِّنًا أنَّ المسيح هو المُخلِّص الذي أتى ليَعْتَمد منه في نهر الأردن. لكنَّ اللّٰه كان قد وعده بأن يُعطيه علامة بها يمكنه أن يتعرَّف على حَمَل اللّٰه. أدرك يوحنا تلك العلامة عندما استقرَّت الحمامة الإلهية على يسوع، وشاع حوله نور مجد اللّٰه. مَدَّ يوحنا يده مُشيرًا إلى يسوع، وصرخ بصوت عالٍ وقال: «هوذا حَمَل اللّٰه الذي يرفع خطيَّة العالم» (يوحنا ١: ٢٩).

خِدْمَة يوحنا — أخبَرَ يوحنا تلاميذه أنَّ يسوع هو المسيا الموعود به، مُخَلِّص العالم. وإذ اقتربت خدمة يوحنا من نهايتها، علَّم تلاميذه أن ينظروا إلى يسوع ويتبعوه على أنه المُعَلِّم الأعظم. كانت حياة يوحنا حياة حُزْن وإنكار للذات. لقد أعلن مجيء المسيح الأول، ولكن لم يَكُن ليَشهد عَجَائبه ويفرح بالقُوَّات التي تجلَّت فيه. عندما ثبَّت يسوع نفسه كَمُعَلِّم، أدرَك يوحنا أنه يجب أن يموت. لم يُسْمَع صوته في البرية إلا نادرًا. عاش حياته وحيدًا. لم يكن وثيق الصِّلة بعائلة والده ليستَمْتع برفقتهم ومجتمعهم، بل تركهم ليُتمِّم مُرسليته. حشود من الناس تَرَكَوا المُدُن والقرى المزدحمة وتدفَّقوا ناحية البرية ليسمعوا كلمات ذلك النبي الرائع. نَفَذَ يوحنا إلى قلب مشاكل الناس. لقد انْتَقَدَ الخطيَّة دون خوف من العواقب، وأعدَّ الطريق لحَمَل اللّٰه.

تأثَّر هيرودس عند سماعه شهادات يوحنا القوية والواضحة. وباهتمام شديد سعى لأن يعرف عمَّا يجب أن يعمله لكي يصير أحد تلاميذه. كان يوحنا على دراية بأنَّ هيرودس كان على وَشَك أن يتزوَّج امرأة أخيه في حين كان أخوه ما زال حيًّا. فأخبر يوحنا هيرودس، وبكل صدق وأمانة، بأنَّ ذلك أمرًا غير مشروع، لكن هيرودس لم يكن مُسْتَعدًّا لأن يُقدِّم أيَّة تنازلات. فتزوَّج امرأة أخيه، ومن خلال تأثير زوجته عليه قَبَضَ على يوحنا وأودعه السجن، مُزمعًا فيما بعد إطلاق سراحه. بينما كان يوحنا حبيسًا داخل السجن، سَمِعَ عن أعمال يسوع العظيمة من خلال تلاميذه. لم يستطع الذهاب لسَماع كلمات يسوع الرقيقة، لكنَّ تلاميذه أخبروه وعزُّوه وخفَّفوا عنه بما كانوا قد سمعوه. قُطِعَت رأس يوحنا بعد ذلك بقليل بتأثير من زوجة هيرودس عليه. التلاميذ الأكثر تواضعاً الذين تَبعوا يسوع وشاهدوا عجائبه وسمعوا كلماته المُعزِّية التي قالها، هم أعظم من يوحنا المعمدان (انظر متى ١١: ١١)؛ بمعنى أنَّهم كانوا أكثر إجلالاً وإكرامًا، واختبروا فرحًا أكثر في حياتهم.

جاء يوحنا في روح وقوَّة إيليا ليُعلن مجيء المسيح الأول (لوقا ١: ١٧). يمثّل يوحنا أولئك الذين سيخرجون في الأيام الأخيرة بروح وقُوَّة إيليا ليُعلِنوا يوم غضب اللّٰه والمجيء الثاني للمسيح.

التجربة — بعد معمودية يسوع في نهر الأردن، اقتيد بالروح في البرية ليُجرَّب من إبليس. كان الروح القدس قد أعدَّه لهذا المشهد الخاص من التجارب الوحشية. لقد جُرِّب من قِبَل الشيطان لمدَّة أربعين يومًا لم يأكل فيها شيئًا. كل شيء حوله كان بائسًا وموحشًا تودُّ الطبيعة البشرية أن تتجنَّبه. كان يعيش مع الوحوش وإبليس في مكان موحش ومنفرد. كان ابن اللّٰه شاحبًا وهزيلاً بسبب الصوم والمُعاناة. لكن مساره كان قد رُسِمَ له، ووجبَ عليه إنجاز العمل الذي جاء من أجله.

انتهَز الشيطان فرصة مُعاناة ابن اللّٰه، وأعدَّ العُدَّة ليُضايق المسيح عن طريق العديد من التجارب، على أمل أن ينتصر عليه، لأنه وضع نفسه واتَّضع كإنسان. جاء الشيطان ليجرِّبه قائلاً: «إن كُنتَ ابن اللّٰه، فَقُل لهذا الحجر أن يصير خبزًا». جرَّب الشيطان يسوع لأن يتنازل ويُعطيه البرهان على أنه المسيا، باستخدام قوَّته الإلهية. فأجابه يسوع بلطف قائلاً: «مكتوب: أن ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة من اللّٰه» (لوقا ٤: ٣، ٤).

أراد الشيطان أن يُجادل المسيح حول كونه ابن اللّٰه، وأشار إلى حالة الضعف والمُعاناة التي يُقاسيها المسيح ويؤكِّد بتبجُّح وتباه أنه أقوى من يسوع. لكن شهادة اللّٰه من السماء «أنت ابني الحبيب، بك سُرِرْت» (لوقا ٣: ٢٢)، كانت كافية لأن تُعين يسوع خلال كل مُعاناته. لمَ يكن المسيح تحت أي التزام ليُقنع الشيطان بقوَّته أو أنه هو مُخلِّص العالم. كان أمام الشيطان الأدلة الوافرة عن مكانة المسيح السامية وسلطانه — فالمسيح ابن اللّٰه. وعدم رغبة الشيطان في الخضوع لسلطة المسيح هي التي أخرجته خارج السماء.

لإظهار قُوَّته الخاصة، حَمَل الشيطان يسوع إلى أورشليم وأقامَهُ على جناح الهيكل، وهناك جَرَّبه ليُعطي برهانًا على أنه ابن اللّٰه بواسطة رمي نفسه من على علوٍّ شاهق. وجاء الشيطان بكلمات موحى بها في الكتاب المقدس: «لأنه مكتوب: إنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك، وانهم على أياديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك. فأجاب يسوع: إنه قيل:

لا تُجرِّب الرب إلهك» (لوقا ٤: ١٠-١٢). أراد الشيطان أن يجعل المسيح يفترض أنه سيحصل على رحمة أبيه ويجازف بحياته قبل أن يُتمِّم مهمته. كان الشيطان يريد لخطَّة الخلاص أن تفشل، ولكن خطة الخلاص بُنِيَت على أساس أعمق من أن يطيح بها الشيطان أو يُفسدها.

إنَّ المسيح هو مثال لكل المسيحيين، فعندما يُجرَّبون أو تُصادر حقوقهم، عليهم أن يحتملوا ذلك بصبر. عليهم ألا يشعروا أنَّ من حقِّهم أن يدعوا الرب لأن يستعرض قوَّته حتى ينالوا الغلبة على أعدائهم، إلا إذا كان ذلك العمل سوف يجلب مجدًا وكرامة للّه بصفة علنية ومُباشرة. لو كان المسيح قد ألقى بنفسه من على جناح الهيكل، لما كان ذلك تمجيدًا لأبيه السماوي، حيث لم يكن أحد ليشهد على ذلك سوى الشيطان وملائكة اللّه. ولكان قد جرَّب الرَّب لاستعراض قوَّته أمام أكثر أعدائه مرارة، ولكان ذلك بمثابة تنازل لذاك الذي جاء يسوع ليقهره.

«ثم أصعده إبليس إلى جبل عال، أراه ممالك المسكونة في لحظة من الزمان. وقال له إبليس: ‹لك أُعطي هذا السلطان كله ومجدهن لأنه إليَّ قد دُفع وأنا أعطيه لمَن أريد. فإن سجدت أمامي يكون لك الجميع›».

«فأجابه يسوع: ‹اذهب يا شيطان! إنه مكتوب: للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد›» (لوقا ٤: ٥-٨).

أظهر الشيطان ليسوع ممالك العالم بأبهى صورها، وعرض عليه أن يتخلَّى له عن ملكيَّته للعالم التي يدَّعيها، لو سجد له المسيح في تلك اللحظة. كان الشيطان يُدرك أنه في حين تمَّ إنجاز خطَّة الفداء وموت المسيح لفداء الخطاة، فذلك سيحدُّ من قوَّته ثم ستُنزع منه كليًّا، وسيتم هلاكه في النهاية. لذلك، كانت خطته المدروسة، إن استطاع، أن يحول دون أن يُكمل المسيح العمل العظيم الذي بدأه. ولو فشلت خطة اللّه للفداء، لاستَعاد الشيطان سلطته التي ادَّعاها. لقد تمنّى أن يكون حاكمًا على الأرض مُعارضًا لإله السماء.

انتهار المُجرِّب — ابتهجت نفس الشيطان عندما وضع يسوع قوَّته ومجده جانبًا وترك السماء. ظنَّ أنَّ ذلك سوف يضع ابن اللّه ضمن قوَّته.

تجربته لآدم وحواء سارت بسهولة ويُسر وظنَّ أنه يستطيع بقوَّته الشيطانية وخدعه أن يهزم ابن اللّٰه، وبذلك ينقذ حياته ومملكته. فلو استطاع أن يُجرِّب المسيح ويبعده عن إرادة أبيه، لاستطاع أن يُحقِّق هدفه. لكنَّ المسيح قابل المُجرِّب وانتهره قائلاً: «اذهب عني يا شيطان». فالمسيح سيسجد لأبيه فقط.

ادَّعى الشيطان ملكيته للأرض، واقترح على المسيح أنَّ بإمكانه أن يتجنَّب كل مُعاناته، وأنَّه لا حاجة له لأن يموت ليملك على ممالك هذا العالم. فلو أنَّ المسيح سيسجد لإبليس، سيستطيعَ أن يستحوذ على كل ممتلكات الأرض وأمجادها والتحكم فيها. لكن المسيح لم يتزعزع. كان يُدرك أنه سيأتي الوقت حين يفتدي مملكته من الشيطان بحياته. وبعد حين، سيخضع له كل من في السماء وعلى الأرض. لقد اختار حياة الألم والموت المخيف كالطريق الذي حدَّده له أباه ليُصبح الوريث الشرعي لممالك الأرض ولتُعطى له كملك أبدي. والشيطان أيضًا سيُعطى له الهلاك بالموت، ولن يكون فيما بعد سببا لإزعاج ومُضايقة للمسيح أو لشعبه المفدي في المجد.

خدمة المسيح

بعد أن أنهى إبليس تجاربه، فارق المسيح إلى حين. أعدَّ الملائكة طعامًا للمسيح في البرية، وأعانوه وقوُّوه، حلَّت عليه بركة أبيه. لقد فشلت تجارب إبليس القاسية، ولكنه ما زال يتطلَّع إلى وقت عمل خدمة المسيح، حين سيُحاول من وقت إلى آخر أن يتآمر عليه. ما زال يأمل بهزيمته عن طريق إثارة أولئك الذين يرفضون قبول المسيح ويحثهم على بغضه وكرهه ومحاولة قتله.

كان الشيطان وملائكته منشغلين جدًا أثناء خدمة المسيح، ليلهب في الناس روح عدم الإيمان، والكراهية والسخرية. عندما كان المسيح يصرِّح بحقائق مؤلمة وقاسية، كاشفاً خطاياهم، يغضب الجمع ويثور، فيحثهم الشيطان على قتل ابن اللّٰه. لقد ألقوا عليه الحجارة في أكثر من مناسبة،

لكن الملائكة كانوا في حراسته وأبعدوه عن الجموع الغاضبة إلى مكان آمن. مرة أخرى، عندما تفوَّه المسيح بالحق الواضح، امتلأ الجمع غضبًا وقاموا وجاءوا به إلى حافَّة الجبل حتى يطرحوه إلى أسفل. فحدث نزاع بينهم ماذا عساهم أن يفعلوا به، حينها أخفاه الملائكة مرة أخرى عن أنظار الحشد وجاز في وسطهم ومضى.

بقي الشيطان يأمل بفشل خطة الخلاص العظيمة. بذل كل ما في استطاعته ليقسِّي قلوب الناس ويملأ نفوسهم بالمرارة تجاه يسوع. كان يأمل أن يقبله القليلون على أنه ابن اللّٰه حتى يعتبر المسيح أنَّ هذه القلَّة لا تستحق آلامه وتضحيته العظيمة من أجلهم. ولكن، لو كان هناك شخصان فقط قبلا المسيح على أنه ابن اللّٰه وآمنا به لأجل الخلاص، لكان أكمل خطة الفداء.

تخفيف آلام المتألمين — بدأ يسوع عمله بكسر قوة الشيطان على المتألمين. شفى المرضى، منح البصر للعمي، شفى العرج وجعلهم يثبون فرحًا ويمجدون اللّٰه. أعاد الصحة لأولئك المرضى، الذين كانوا في قبضة الشيطان لسنوات كثيرة. وبكلمات لطيفة واسى الضعفاء والخائفين والبائسين. الضعفاء والمتألمون الذين كان ينقضُّ عليهم الشيطان بظفر، انتزعهم يسوع من قبضته، مانحًا إيَّاهم الصحة الجسدية والفرح الكثير والسعادة. أقام الموتى للحياة، ومجدوا اللّٰه لاستعراضه العظيم لِقُوَّته. لقد عَملَ بقوة لكل مَن آمن به.

كانت حياة المسيح مليئة بكلمات وأفعال الرحمة والرأفة والمحبة. كان على استعداد دائم ليستمع ويُخفف من مشكلات الذين أتوا إليه. حملت الأعداد الغفيرة من أجساد الناس التي شفاها المسيح، البرهان على قوَّته الإلهية. ولكن بالرغم من كل ما قام به من أعمال لأجلهم، كان كثيرون يخجلون من ذلك المُبشِّر (الواعظ) المتواضع العظيم. ولكون الحكَّام لم يؤمنوا بالمسيح، فلم يكن الشعب على استعداد لقبوله. كان رجل أحزان ومختبر الحزن. لم يستطيعوا تحمُّل العيش تحت حُكمه المتَّصف بالاعتدال ونكران الذات. أرادوا الاستمتاع بالشرف الذي يمنحه العالم. مع ذلك، كثيرون اتبعوا ابن اللّٰه وأصغوا لنصائحه، مستمتعين بكلمات اللطف

والرقة التي خرجت من بين شفتيه. كلماته كانت مليئة بالمعنى، مع ذلك كانت بسيطة وواضحة يمكن أن يفهمها أبسط البسطاء.

المُعارضة الباطلة — أعمى الشيطان وملائكته أعين اليهود وأظلَمَ عقولهم، وأثارَ رئيس الشعب والحكام ليقتلوا المسيح المُخلِّص. أرسل الحُكَّام آخرين ليحضروا إليهم يسوع. ولكن عندما اقترب هؤلاء من حيث كان المسيح، اندهشوا بشدَّة، إذ رأوه مملوءًا عطفًا ورحمة وهوَ يُشاهد المعاناة البشرية. لقد سمعوه وهو يتحدَّث للضعفاء واليائسين مشجعًا إيَّاهم بحُبٍّ وحنان. سمعوه أيضًا وهو يتحدَّث بسلطة مُنتهرًا قوَّة الشيطان وآمرًا أسراه بالحرية والعتق. استمعوا إلى كلمات الحكمة التي تفوَّه بها، وقَد أسرتهم كلماته ولمَ يستطيعوا إلقاء القبض عليه. فرجعوا إلى الكهنة والشيوخ بدون يسوع.

عندما سُئلوا: «لماذا لم تأتوا به؟»، أخبروهم بمعجزاته التي شاهدوها، وكلمات الحكمة المقدَّسة، والمحبة والمعرفة التي سمعوها. وختموا بقولهم: «لم يتكلَّم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان» (يوحنا ٧: ٤٥، ٤٦). اتَّهمهم رؤساء الكهنة بأنهم هم أيضًا قد تمَّ تضليلهم، وشعر بعض الحُرَّاس بالخجل لعَدَم الإمساك بالمسيح. سأل الكهنة بسخرية «ألعلَّ أحدًا من الرؤساء أَو من الفريسيين آمن به؟» آمن كثير من الحُكَّام والشيوخ بالمسيح، ولكنَّ الشيطان منعهم من الإفصاح عن ذلك. خافوا من سُخرية الشعب أكثر من خوفهم من اللّٰه.

حتى الآن لم يستطع الشيطان بتآمره وغضبه أن يُعطِّل خطَّة الخلاص. كان الوقت يقترب من نهايته ليُتمِّم المسيح الهدف الذي أتى من أجله إلى العالم. تشاور الشيطان مع ملائكته وقرَّروا أن يُؤثِّروا في شعب المسيح نفسه ليصرخوا بكل حماس مُطالبين بدمه ومعاملته بقسوة وسُخرية وازدراء. لقد أمل الشيطان وملائكته أن يَستاء يسوع من هذه المُعاملة ويفشل في احتفاظه بتواضعه ووداعته.

بينما كان الشيطان يضع خططه، كان يسوع يُطلع تلاميذه بحرص شديد على الآلام والمُعاناة التي يجب عليه أن يجتازها — إنه سيُصْلَبْ وسوف

يقوم في اليوم الثالث. ولكن عقول تلاميذه بدت متبلدة، ولم يستطيعوا إدراك ما كان يقوله لهم.

التَّجلِّي — ازداد إيمان التلاميذ قوَّة عند التَّجلِّي، عندما سُمِحَ لهم أن يروا مجد المسيح ويسمعوا الصوت من السماء شاهدًا لصفاته الإلهية (انظر متى ١٧: ١-٨). أراد اللّٰه أن يُعطي أتباع يسوع بُرهانًا قويًّا على أنه المسيَّا الموعود به، حتى لا يفقدوا إيمانهم كُلِّيًّا في حزنهم المرير وخيبة أملهم عند الصليب. عند التَّجلِّي، أرسَلَ الرب موسى وإيليا ليتحدَّثا مع يسوع بخصوص آلامه وموته. بدلاً من أن يُرسل الرب ملائكة لمُخاطبة ابنه، اختار اللّٰه أولئك الذين اختبروا بأنفسهم تجارب الحياة.

كان إيليا قد سار مع اللّٰه. كان عمله مُؤلمًا ومُرهقًا، لأن الرب كشف بواسطته خطايا إسرائيل. كان إيليا نبيًا للّٰه، ومع ذلك فقد كان عليه أن يهرب من مكان إلى مكان ليُنقذ حياته. كانت أمته تُطارده كوحش كاسر سعيًا لإهلاكه. لكن اللّٰه أصعده إلى السماء. حَمَلَتْه ملائكة مُمجَّدًا ومُنْتَصرًا إلى السماء، دون أن يرى الموت.

كان موسى أعظم من أي إنسان عاش قبله. لقد كرَّمه اللّٰه جدًا. أعطاه اللّٰه ميزة التَّحدُّث معه وجهًا لوجه كما يتحدَّث صديق لصديقه. سُمِحَ له أن يرى النور الساطع والمجد الأسمى اللذين أحاطا باللّٰه الآب. بواسطة موسى، أنقذ اللّٰه شعب إسرائيل من عبوديتهم في مصر. كان موسى شفيعًا لشعبه، وغالبًا ما وقف وسيطًا بينهم وبين غضب اللّٰه. لقد اختُبِرَت محبة موسى لشعبه عندما كان غضب اللّٰه يحمى على إسرائيل بسبب عدم إيمانهم، وتذمرهم، وخطاياهم المُشينة. اقترح اللّٰه على موسى أن يُهلكَهم ويُقيم لنفسه شعبًا عظيمًا. فأظهر موسى محبته لإسرائيل من خلال تضرُّعه المُخلص عنهم أمام اللّٰه. وفي حزنه وكربه، صلَّى إلى اللّٰه أن يتحوَّل عن غضبه الرهيب ويغفر لإسرائيل، أو أن يمحو اسمه (موسى) من سفْر الحياة.

ذاق موسى الموت، ولكن ميخائيل نزل من السماء ومنحه الحياة قبل أن يتحلَّل جسده. حاول الشيطان التَّمسُّك بجسد موسى مُدَّعيًا أنه

يخصه، لكنَّ ميخائيل أقامه من الموت وأخذه إلى السماء. ثار الشيطان بعنف ضد اللّٰه مُتَّهمًا إياه بالظلم بالسماح بانتزاع فريسته منه، لكنَّ المسيح لم ينتهر خصمه بالرغم من أنَّ الشيطان كان هو السبب في موت موسى من خلال تجربته له. لكن المسيح بكل وداعة، أحاله إلى اللّٰه الآب، قائلاً له: «لِيَنْتَهِرَكَ الرب» (يهوذا ٩).

كان يسوع قد أخبر تلاميذه أنه من بين الذين يقفون معه لن يذوقوا الموت إلى أن يروا ملكوت اللّٰه آتيًا بقوَّة. وقد تمَّ ذلك عند التجلِّي، إذ تغيَّر وجه المسيح هناك، ساطعًا مثل الشمس. ثيابه كانت بيضاء لامعة. كان موسى يرمز إلى أولئك الذين سيُقامُون من بين الأموات عند عند المجيء الثاني للمسيح. وكان إيليا، الذي صعدَ إلى السماء دون أن يرى الموت، يرمز إلى الذين سوف يتغيَّرون إلى الخلود عند عودة المسيح وسيصعدون إلى السماء دون أن يروا الموت. بخوف ودهشة شديدتين، رأى التلاميذ هيئة المسيح الملوكية السامية والسحابة التي غطَّتهم، وسمعوا صوت اللّٰه بجلال رهيب، يقول: «هذا هو ابني الحبيب. له اسمعوا».

الفصل ٨

الذَّبيحة

تسليم المسيح

كان الشيطان قد خدع يهوذا وجعله يعتقد أنَّه واحد من تلاميذ يسوع المُخلصين، إلا أنَّ قلبَهُ كان دائمًا ماديًّا. كان قد رأى أعمال يسوع العظيمة، وكان معه خلال خدمته، وكان قد اقتَنَع بالبراهين القوية القاطعة أنَّ يسوع هو المسيا، لكنَّ يهوذا كان بخيلاً وطمّاعاً. أحبَّ المال. تذمَّر بغضب بسبب الطِّيْب (العطر) الذي سَكَبَتْهُ مريم على يسوع.

أحبَّت مريم سيِّدها، فقد غفر لها خطاياها التي كانت كثيرة، وأقامَ أخاها الحبيب من الموت، وشَعَرَتْ أنَّ لا شيء يُمكن أن يكون أعز أو أقيم من أن يُمنَح للمسيح. فكلما زادت قيمَة الطِّيب (العطر)، كُلَّما زادت قدرتها فَي التعبير عن شكرها وحمدها لمُخلِّصها من خلاَل إكرامها له.

تبريرًا لطَمَعه، ألحَّ يهوذا بأنَّه كان من الممكن بَيع هذا الطِّيْب وإعطاء ثمنه للفقراَء. لقَد كان أنانيًا، ولطالما أَخذَ لنفسه من أموال الصندوق التي عُهدَ بها إليه لتُعطى للفقراء. لم يُبال يهوذا براحةَ المسيح أو باحتياجاته، ولتَبرير طمعه، كان دائمًا يُشير إلى الفَقراء. وعمل السَّخاء الذي قامت به مريم كان الأكثر توبيخًا وقسوة لطبيعة يهوذا الطمّاعة. هذا، مهَّد الطريق لتجارب الشيطان لتجد قبولاً في قلب يهوذا.

كان كهنة ورؤساء اليهود يُبغضون يسوع، لكنَّ الجموع الفقيرة احتشدت حوله لسماع كلمات الحكمة التي تكلَّم بها يسوع ولمشاهدة أعماله العظيمة. تأثَّر الشعب تأثُّرًا عميقًا وتبعوه بشوق ليسمعوا تعاليم ذلك المُعلِّم الرائع. آمَن كثير من الرؤساء بالمسيح، لكنَّهم لم يجرؤا على الاعتراف بإيمانهم خوفًا

من طردهم من السنهدريم. قرَّر الكهنة والشيوخ أنَّه لابدَّ من عمل شيء ما لِصَرْف اهتمام الشعب عن يسوع. خافوا لئلا يؤمن به الجميع. ورأوا أنَّهم لَيسوا في أمان. فكان أمامهم إما أن يفقدوا مراكزهم أو أن يقتلوا يسوع. وإذا ما قاموا بقتل يسوع، سوف يظل هناك مَن هم شهود أحياء لقُوَّته.

كان يسوع قد أقام لعازر من الموت، فخافوا لو أنَّهم قتلوا يسوع فسوف يشهد لعازر لقوَّة يسوع العظيمة. كان الشعب يتجمَّع ليروا الرَّجل الذي أُقيم من الأموات. عقد الرؤساء العزم على قتل لعازر أيضًا لإخماد اهتياج الشعب. بعد ذلك، سيُحوِّلون انتباه الشعب نحو التقاليد والتعاليم البشرية، ليُعشِّروا النَّعنع والشبث، ويتمكنون من السيطرة عليهم مرة أخرى. اتَّفقوا على إلقاء القبض على يسوع حينما يكون منفردًا، لأنهم لو حاولوا الإمساك به وهو في وسط الجموع وعقولهم مشدودة نحو يسوع ومهتمة به، فسوف يُرجَمون.

عَلِمَ يهوذا مدى لهفتهم للإمساك بيسوع، وعَرَضَ على رئيس الكهنة والشيوخ أن يُسلِّمهم إيَّاه مُقابل قطع قليلة من الفضة. إنَّ حُبَّه للمال قاده لأن يخون سيِّده ويُسلِّمه لأيدي ألدّ خصومه. كان الشيطان يعمل مُباشرة من خلال يهوذا، وفي وسط المشهد الرَّهيب للعشاء الأخير، كان الخائن يضع الخطط ليُسلِّم سيِّده. وبكل حزن قال يسوع لتلاميذه إنهم سيشعرون بالاستياء بسببه. لكنَّ بطرس أكَّد بحماس أنَّه إن شكَّ فيك الجميع، فأنا لا أشك. قال يسوع لبطرس: «هوذا الشيطان طلبكم لكي يُغَربلكم كالحنطة! ولكني طلبتُ من أجلكَ لكي لا يَفنى إيمانك. أنتَ متى رَجعْت، ثبِّت إخوتك» (لوقا ٢٢: ٣١، ٣٢).

في البستان — كان يسوع في بستان جثسيماني مع تلاميذه. بحزن عميق طَلَبَ منهم أن يسهروا ويُصلُّوا حتى لا يدخلوا في تجربة. كان يعلمُ أنَّهم سوف يُجرَّبون في إيمانهم، وستلاقي آمالهم خيبة عظيمة، وأنهم سيحتاجون إلى كل القوَّة التي يمكنهم الحصول عليها من سهرهم وحرارة صلواتهم. وبصرخات البكاء، صلَّى يسوع: «يا أبتاه، إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس. ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك» (لوقا ٢٢: ٤٢). بألم شديد صلَّى ابن اللّه. صار عرقه كقطرات دم تجمَّعت على وجهه، ونزلت

على الأرض. كانت الملائكة تحوم حول المكان يراقبون المشهد، ولكن سُمِحَ لواحد فقط من الملائكة أن يذهب ليقوي المسيح في آلامه.

بعدما صَلَّى يسوع، جاء إلى تلاميذه، لكنهم كانوا نيَّامًا. في تلك الساعة المُرعبة لم ينل حتى من تلاميذه عطفهم وصلواتهم. حتى بطرس، الذي كان منذ وقت قصير متحمِّسًا جدًا، كانت عيناه مُثقلة بالنُّعاس. ذكَّره يسوع بالتَّصريحات الإيجابية التي أعلنها من قبل وقال له: «أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة؟» (متى ٢٦: ٤٠). في ألم مُبرح صلَّى يسوع ابن اللّه ثلاث مرَّات.

يهوذا يُسلِّم (يخون) يسوع — بعد ذلك، ظهر يهوذا ومعه مجموعة من المُسلَّحين. تقدَّم نحو سيِّده كما كان يفعل دائمًا ليُصافحه. التفَّ المسلَّحون حول يسوع، ولكن يسوع استعرض قوَّته الإلهية، عندما قال: «مَن تطلبون؟»، «أنا هو». فتراجعوا وسقطوا على الأرض. سألهم يسوع ذلك السؤال حتى يمكنهم مُشاهدة قوَّته ويُريهم البُرهان بأنَّ في استطاعته أن ينجو بنفسه من بين أيديهم إن أراد.

تجدَّد الأمل لدى التلاميذ وهم يرون تلك المجموعة وهي تسقط على الأرض بسيوفهم وعصيِّهم بهذه السرعة. وعندما وقف أولئك الرُّعاع على أقدامهم، وأحاطوا بابن اللّه، استلَّ بطرس سيفه وقطع أُذن عبد رئيس الكهنة. أمره يسوع أن يردّ سيفه إلى مكانه قائلاً: «أتظنُّ أني لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبي فيُقدِّم لي أكثر من اثني عشر جيشًا من الملائكة؟» (متى ٢٦: ٥٣). عندما تكلَّم يسوع بهذه الكلمات، اتسمت على وجوه الملائكة علامات الأمل. أرادوا أن يُحيطوا بقائدهم في تلك اللحظة عينها ليُشتِّتوا ذلك الجمع الغاضب. ولكن، خيَّم الحُزن عليهم مرة أخرى، إذ قال يسوع مُضيفًا: «فكيف تكمل الكتب: إنه هكذا ينبغي أن يكون؟» (متى ٢٦: ٥٤). امتلأت قلوب التلاميذ أيضًا باليأس وخيبة الأمل المريرة وهُم يرون يسوع يسمح لنفسه أن يُقبَض عليه بأيدي أعدائه.

خاف التلاميذ على أنفسهم، فتركه الجميع وهربوا. تُرك المسيح وحيدًا في أيدي الرُّعاع القَتَلَة. يا له من انتصار حقَّقه الشيطان حينذاك! ويا له من

حزن وأسى بين ملائكة اللّٰه! أُرْسلَت جماعات من الملائكة القديسين، على رأس كل جماعة ملاك فارع الطول، قائدًا لها، ليشاهدوا ذلك المشهد. كان عليهم أن يُسجِّلوا كل إهانة وقسوة وقعت على ابن اللّٰه، ويُدوِّنوا كل لحظة ألم قاساها يسوع، لأنَّ أولئك الرجال أنفسهم الذين شاركوا في ذلك المشهد المُرعِب سوف يرونه مُجدَّدًا في استعراض حي.

مُحاكمة المسيح

كان الشيطان وملائكته منشغلين في قاعة المُحاكمة، يُدمِّرون المشاعر والعواطف الإنسانية. كان الجو ذاته ثقيلاً ومُلوَّثًا بفعل تأثيرهم. لقد أوعزوا للكهنة والشيوخ على إهانة يسوع والإساءة إليه بطريقة تفوق احتمال البشر. أملَ الشيطان في أن تُثير تلك السُّخرية وذلك العُنف تذمُّر أو احتجاج ابن اللّٰه، أو أن تقوده لأن يعرض قوَّته الإلهية ويفلت من قبضة الرُّعاع، وبهذه الطريقة يمكن أن تفشل خطة الخلاص في نهاية الأمر.

بطرس يُنكر المسيح — تَبِعَ بطرس سيِّده من بعيد بعد تسليمه. كان قَلقًا بخصوص ما سيحدث ليسوع. ولكن عندما اتُّهم بأنه واحد من تلاميذه، جعله خوفه على حياته يُعلن بأنه لا يعرف يسوع. اشتُهِرَ تلاميذ يسوع بطهارة ألسنتهم ولغتهم المُهذَّبة، ولكي يُمعن بطرس في خداع سائليه بأنه ليس واحدًا من تلاميذ يسوع، أنكَرَ التُّهمة للمرة الثالثة بقَسَم ولعن. التفت يسوع بحُزن إلى بطرس، وحدَّق إليه بنظرة التأنيب إذ كان يسوع يقف على مسافة قصيرة من بطرس. عندئذ، تذكَّر بطرس كلمات يسوع التي قالها له في العلِّيَّة، كما تذكَّر أيضًا انفعاله العاطفي عندما قال: «إن شكَّ فيك الجميع، فأنا لا أشك أبدًا» (متى ٢٦: ٣٣). لقد أنكر سيِّده، بقَسَم ولَعْن، لكنَّ نظرة يسوع تلك أذابت قلبه وخلَّصته. بكى بُكاءًا مُرًّا وتاب عن خطيته العظيمة. وتجدَّد، عند ذلك كان مُستعدًا لأن يُقوِّي إخوته.

في قاعة المُحاكمة — اندفع الجمع صارخين مُطالبين بدم يسوع. جَلَدَه الجنود بقسوة وألبسوه رداءًا أرجوانيًا باليًا رمزًا للملوكية، ووضعوا على رأسه

المُقدَّس إكليلاً من الشوك. وضعوا قصبة في يده، وسجدوا له ساخرين وهم يُحيّونه قائلين: «السلام يا ملك اليهود!» (يوحنا ١٩: ٣). بعد ذلك، أخذوا القصبة من يده وضربوه بها على رأسه، مما جعل الأشواك تخترق إلى داخل الرأس لتَسيل منها الدِّماء وتتقاطر على وجهه ولحيته.

عَلِمَ يسوع أنَّ الملائكة يُراقبون مشهد الاتِّضاع والإذلال هذا. كان في استطاعَة أضعف الملائكة أن يُخلِّص المسيح ويُسقط تلك الجموع نازعًا عنهم قوَّتهم. كان يسوع يعلم أنَّه لو طَلَب من أبيه، فسَتُطْلِقُهُ الملائكة فورًا. ولكن كان من الضروري أن يتحمَّل هو العنف والإهاناتَ على أيدي الأناس الأشرار لكي يُتَمِّم خطَّة الخلاص.

وقف يسوع وديعًا ومتواضعًا أمام غضب واهتياج ذلك الجمع، بينما كانوا يُلحقون به أقسى الإساءات والإهانات. بصقوا على وجهه — ذلك الوجه الذي سيأتي يوم يختبئ فيه هؤلاء لو استطاعوا أن يختبؤوا منه، الذي سيضيئ بنوره مدينة اللّه، وسيشعُّ بإشراق أشدّ من نور الشمس. لم يُلق يسوع نظرة غضب على مُعذِّبيه. لقد غطُّوا رأسه بثوب بال، وعصبوا عينيه، ثمَّ لطموه على وجهه وسألوه قائلين: «تنبَّأ! مَن هو الَّذي ضربك؟» (لوقا ٢٢: ٦٤).

استعاد بعض التلاميذ ثقتهم بأنفسهم ودخلوا حيث كان المسيح ليُشاهدوا مُحاكمته. توقَّعوا أن يُظهر قوَّته الإلهية، ويُخلِّص نفسه من أيدي أعدائه، ويُعاقبهم على قسوتهم ووحشيتهم تجاهه. كانت آمالهم ترتفع وتهبط مع اختلاف مشاهد فصول المُحاكمة. ساورهم الشكُّ أحيانًا خوفًا من أن يكونوا قد خُدِعُوا. لكنَّ الصوت الذي سَمِعُوه على جبل التَّجلِّي، والمجد الذي رأوه هناك، قوَّى إيمانهم بأنَّ يسوع هو ابن اللّه. أعادوا إلى أذهانهم المشاهد التي شهدوها، المُعجزات التي رأوا يسوع يُجريها ويصنعها لشفاء المرضى، وفتح عيون المُصابين بالعمى، وإعادة السَّمع للصم، وانتهار الشياطين وطردهم، وإقامة الموتى وإعادتهم للحياة، وحتى انتهار العاصفة وإسكات الريح وإبكام البحر.

لم يُصدِّقوا أبدًا أنه يمكن أن يموت. ما زالوا يأملون أن يستنهض قوَّته، وبصوته الآمر يُشتت ذلك الجمع المتوحِّش كما فعل عند دخوله الهيكل

وطرده الباعة وصرَّافي العُملة الذين جعلوا من بيت الله مكانًا للتجارة ففرُّوا من أمامه كما لو كانت تُطاردهم فرقة من الجيش المُسلَّح. أملَ التلاميذ أن يستعرض يسوع قُوَّته ليُقنع الجَميع بأنه هو ملك إسرائيل.

اعتراف يهوذا — امتلأ قلب يهوذا بمرارة النَّدم والعار لفعْله الغادر في خيانة يسوع. وعندما شاهد الإساءات والإهانات والقسوَة الَتي احتملها يسوع، شعر بهزيمته وانهار. أحبَّ يهوذا المسيح، لكنه أحبَّ المال أكثر من محبَّته ليسوع. لم يُفكِّر يهوذا بأنَّ يسوع سيسمح لتلك المجموعة التي قَادها يهوَذا أن تأخذه. لقد توقَّع أن يصنع المسيح مُعجزة يُخلِّص بها نفسه منهم. ولكن عندما رأى ذلك الجمع الغاضب في قاعة المحكمة مُتعطِّشًا للدماء، شَعَرَ بعذاب الضمير. بينما كان الكثيرون يُلقون الإهانات على يسوع بقسوة، شقَّ يهوذا لنفسه طريقًا وسط ذلك الجمع صارخًا: «أخطأت إذ سلَّمتُ دمًا بريئًا»، وطرح أمام رئيس الكهنة والباقين قطَع الفضَّة التي كانوا قد أعطوها إياه، وتوسَّل إليهم أن يُطلقوا سراح يسوع، َمُعلنًا أنه بريء تمامًا.

أسكت الغضب والفوضى الكهنة لبعض الوقت. لم يشَأ الكهنة أن يعرف الشعب أنَّهم قد استأجروا أحد أتباع المسيح ليُسلِّم المسيح إلى أيديهم. أرادوا أن يُخفوا حقيقة مُطاردتهم ليسوع كلص والإمساك به سرًّا. ولكن اعتراف يهوذا ومظهره وهو شاحب الوجه ومُنْهَك القوَى فضحت خيَانة الكهنة أمام الجَمْع، وأظهَرَت أنَّ حقدهم ليسوع هو الذي َجعلهم يقبضون عليه. وإذ صَرَخ يهوذا مُعلنًا أنَّ يسوع كان بريئًا، أجاب الكهنة: «ماذا علينا؟ أنت ابصر!» (متى ٢٧: ٤). َكان يسوع في قبضتهم وكانوا قد قرَّروا أن يُنفِّذوا خُطَطَهُم. وإذ غَمَرَ الحُزن والأسى قلب يهوذا، طَرَحَ المال الذي أصبح يحتقره الآن عند أقدام أولئك الذين استأجروه، وبكل الأسى والرُّعب، خَرَجَ وشَنَق نفسه.

تجمع حول المسيح الكثير من المتعاطفين معه، وعدم ردِّه على أيٍّ من الأسئلة الموجَّهة إليه أدهشت الجميع. لم يبدُ على مُحيَّا يسوع أي عبوس، ولم ينطق بأية عبارة غضب، بل وقف ثابتًا وعليه سمات الهدوء والعظمة. نَظَر إليه المُراقبون باندهاش. قارنوا بين كمال هيئتَه وجلاله وثبات موقفه مع مظهر أولئك الذين جلسوا ضدَّه في المُحاكمة. وقال بعضهم لبعض،

بأنَّ مظهره يبدو ملوكيًّا أكثر من أيٍّ من الحُكَّام. لم يبدو على وجهه أي أثر ينم على أنه آثم. عيناه سَمحتان، صافيتان وغير منكسرتين؛ جبهته عريضة ومُتعالية؛ ارتسمت على ملامحه آيات النُّبل والصلاح. صبره وتماسكه مُغايران تمامًا لأيِّ بشر عادي حتى ارتعب منه الكثيرون. حتى هيرودس وبيلاطس بدا عليهما الاضطراب الشديد من جلال هيئته الإلهية ونبلها.

يسوع أمام بيلاطس — كان بيلاطس يعلم منذ البداية أنَّ المسيح لم يكن إنسانًا عاديًا، كان على ثقة بكمال أخلاقه وأنه بريء تمامًا من كل التُّهم الموجَّهة إليه. لاحظ الملائكة الذين كانوا يُراقبون المشهد اقتناع القاضي الروماني، ولأجل انقاذه من الإقدام على ارتكاب الجريمة النَّكراء في تسليم يسوع لكي يُصلَب، أُرسِل ملاك إلى امرأة بيلاطس وأطْلَعَهَا من خلال حُلم أنَّ يسوع هو ابن اللّٰه وهو الذي يُحاكَم في القضية التي يشترك فيها زوجها، وأنه بريء تمامًا. وفي الحال، أرسَلَت رسالة إلى بيلاطس، وذكرت أنها تألَّمت كثيرًا في حلم من أجل يسوع، وحذَّرته من فعْل أي شيء تجاه ذلك البار. تقدَّم الرسول وشقَّ لنفسه طريقًا في وسط الجمع، وسلَّم الرسالة إلى بيلاطس. وإذ قرأها، اضطرب وشحب وجهه، وقرَّر على الفور أن لا يُقْدِم على أي شيء يُؤدِّي إلى موت المسيح. فإذا أراد اليهود وطالبوا بدم يسوع، فلن يؤيِّد مطلبهم، بل سيعمل لإنقاذه.

أُرسِل إلى هيرودس — عندما سَمعَ بيلاطس أنَّ هيرودس كان في أورشليم، شَعَر بارتياح كبير لأنَّه كان يأملَ في أن يتخلَّص من كل مسؤولية في محاكمة وإدانة يسوع. وفي الحال، أرسَلَهُ برفقة المُدَّعين عليه إلى هيرودوس. تحجَّر قلب ذلك الحاكم بالخطية. وقد تَرَكَ مقتل يوحنا المعمدان لطخَةً على ضميره لم يستطع التحرُّر منها. عندما سَمعَ عن يسوع والأعمال العظيمة التي يقوم بها، تملَّكه الفزع والخوف، واعتَقد أنَّ هذا هو يوحنا وقد قام من الأموات. عندما حوَّل بيلاطس يسوع إليه، اعتَبَرَ هيرودوس ذلك بأنَّه اعتراف بقوَّته، وسلطته، وحكمه. فصار ذانك الحاكمان المُتخاصمان صديقين بسبب مُحاكمة المُخلِّص. فَرِحَ هيرودوس برؤية يسوع، و«ترجَّى أن يرى آية تُصنَع منه» (لوقا ٢٣: ٨) لإرضاء نفسه.

ولكن لم يكن من عمل المسيح إشباع فضول هيرودوس ولا لخلاص نفسه، بل كان يُمارس قوَّته الإلهية في صنع المعجزات لأجل خلاص الآخرين وليس لمنفعته الشخصية.

لم يُجب المسيح على الأسئلة الكثيرة التي وجَّهها إليه هيرودوس، ولم يرد عَلى أعدائه الذين كانوا يُقدِّمون شكاياتهم ضدَّه باهتياج شديد. استشاط هيرودس غضبًا إذ بدا وكأنَّ المسيح لا يخاف سلطته، فَسَخِرَ هيرودوس مع عسكره واستهزأوا بابن اللّٰه. ولكنه دُهِشَ من هيئة المسيح الإلهية النبيلة حين كانت تنهال عليه الإهانات، وإذا خاف أن يدينه، أعاده إلى بيلاطس.

كان الشيطان وملائكته يُجرِّبون بيلاطس ويُحاولون جرَّه إلى هلاك ذاته. وأوعزوا إليه بأنَّه إن لم يشترك في إدانة المسيح، فإنَّ غيره سيفعل ذلك. كانت الجموع عطشى لدم يسوع، وإذا امتَنَعَ بيلاطس عن تسليمه ليُصْلَب، فإن بيلاطس سيفقد سلطته وكرامته الدنيوية، وسوف يُتَّهم بإيمانه بذلك الدَّجال. وبسبب خوفه من فُقدان قوَّته وسُلطته، وافق بيلاطس على موت يسوع. ومع أنه وضع دم يسوع على المُطالبين بموته، وقد أجاب جميع الشعب وقالوا: «دمُه علينا وعلى أولادنا» (متى ٢٧: ٢٥)، إلا أنَّ بيلاطس لم يتخلَّص من تلك المسؤولية، لأنه كان مذنبًا بدم يسوع المسيح. فمن أجل مصلحته الشخصية الأنانية ومحبته لنيل الكرامة من عُظماء هذا العالم، أسلم شخصًا بريئًا للموت. لو أنَّ بيلاطس اتَّبع قناعاته، لكان أبْعَدَ نفْسَهُ عن أي شيء يخصُّ إدانة يسوع.

كان لهيئة يسوع وكلماته خلال المُحاكمة أثرًا عميقًا على عقول الكثيرين ممَّن كانوا هناك. وقد ظَهَرَت نتيجة ذلك الأثر بعد قيامته. ومن بين الذين انضمُّوا إلى الكنيسة كان كثيرون قد ترسَّخت قناعاتهم منذُ وقت مُحاكمة يسوع.

اهتاج الشيطان وغَضِبَ جدًا حين رأى أنَّ كل الإهانات التي انهالَت على المُخلِّص لم تستطعَ أن تجعله ينطق بكلمة تذمُّر واحدة. مع أنَّه أخَذَ على نفسه طبيعة بشرية، فقد أسندته قوَّة الجَلَد والاحتمال الإلهيتين، ولم يَحِدْ عن إرادة أبيه في أي شيء.

صلب المسيح

يسوع، ابن اللّٰه الحبيب، أُخذ وأُسلمَ إلى الشعب ليُصْلَب. تَبعَ يسوع جمعٌ غفير من الشعب، وانضمَّ إلى ذلكَ الجمع تلاميذ السيد وكلَ مَن قد آمن به من المدينة والأقاليم المُجاورة. الجميع تَبعوا المسيح إلى الجلجثة. وقد تَبعَت مريم، أم المسيح، ابنها إلى جلجثة مُستندة إلى يوحنا التلميذ الحبيبَ. امتلأ قلبها بآلام لا تُطاق، ومع ذلك، فقد كانت كالتلاميذ لم تزل ترجو أن — يتغيَّر ذلك المشهد المؤلم، ويُظهر يسوع قُدْرَتَه، ويَظهَر أمام أعدائه كإبن اللّٰه. ومرَّة أخرى، غاص قلبها في أعماقها حين تذكَّرت الأقوال التي أُنْبيء فيها بالحوادث التي كانت تجري حينئذ.

وإذ خرج يسوع من باب دار ولاية بيلاطس، وُضعَ الصليب الذي كان مُعدًّا لباراباس على كتفيه الممزَّقتين الداميتين. كانَ هناك اثنان من شركاء باراباس محكومًا عليهما بالموت مع يسوع في نفس الوقت، وقد وضعَ على أكتافهما صليبان. سار المسيح حاملاً الصليب لمسافة قصيرة، ولكَن بسبب الإعياء والدِّماء التي سالت منه، سَقَطَ على الأرض مَغشيًّا عليه.

عندما استعاد وعيه، وُضعَ الصليب على منكبيه مرَّة أخرى، ودَفَعُوا به ليتقدَّم إلى الأمام. خطى خَطوات مُتعثِّرة حاملاً حمله الثقيل، ثمَّ سقط مرة أخرى مغشيًا عليه. أُعْلنَ في البداية أنه قد مات، ولكنه استفاق مرة أخرى. لم يكن لدى الكهَنة والحكَّام أيَّ عطف أو رفق نحو ضحيتهم المتألِّمة، لكنَّهم رأوا استحالة تقدُّمه حاملاً وسيلة التعذيب إلى أبعد من ذلك. بينما كانوا يتداولون فيما يَفعَلون، التقى بهذا الجمع رجل يُدعَى سمعان القيرواني، كان آتيًا من الجهة المُقابلة. فسَمع التعبيرات البذيئة الصادرة من ذلك الجمع، وبتحريض من الكهنة، أمسَكوا به وأجبروه على حملَ صليب المسيح. كان ابنا سمعان تلميذين للمسيح، أما هو نفسه، فلم يكن في أي وقت يتواصل مع المسيح.

تَبع يسوع إلى الجلجثة جمع غفير من الشعب. كثيرون كانوا يُعيِّرونه ويستَهزؤون به، لكنَّ بعضهم كانوا يبكونَ ويُردِّدون أعماله العجيبة. أولئك الذين كان قد شفى أمراضهم المختلفة والذين أقامهم من الأموات أعلنوا

بإخلاص أعماله العجيبة، وطالبوا بأن يعرفوا ما الذي اقترفه يسوع ليُعامَل مُعامَلة المُجرم. منذ أيَّام قليلة فقط، كثيرون رافقوا المسيح محتفلين به وهم يُردِّدونَ هتافات الفرح والانتصار ويُلوِّحون بسعوف النخل بهجة بدخوله مُنتَصرًا إلى أورشليم. ولكن كثيرين من الذين كانوا يهتفون بكلمات التسبيح والهتاف آنذاك إذ كان الأمر شائعًا بين الجمع، ضمَّوا أصواتهم الآن إلى مَن يصرخون ضدَّه قائلين: «اصلبه! اصلبه!».

مُسمَّر على الصليب — إذ وصل الموكب إلى مكان الإعدام، أوثِقَ الأسرى إلى آلات التعذيب. بينما كان اللصان يتصارعان مع مَن وضعهما على الصليبين، لم تبدُ من يسوع أيَّة مُقاوَمة. تبعَت مريم أم يسوع ابنها إلى الجلجثة وهي تنظر إليه بقلق وعذاب. كانتَ ترجو أن يُظهر يسوع قُدْرَتَه ليُخلِّص نفسه. رأت يديه ممدودتين على الصليب، تلك اليَدان المُباركتان اللتان وزَّعتا البركات، واللتان امتدَّتا كثيرًا لشفاء المتألمين. والآن قد جيء بالمطرقة والمسامير، وإذ اخترقت تلك المَسامير لحمه الرقيق، وثبتته على الصليب، حَمَل التلاميذ بقلوب منسحقة، حملوا أم يسوع بعيدًا حتى لا تقع عيناها على ذلك المنظر المُفجع القاسي.

لم تبدُ من المُخلِّص كلمة تذمُّر أو شكوى، بل ظلَّ الهدوء والرَّصانة مرتسمتين على وجهه، ولكنَّ العرق كان يتصبَّب من جبينه. لم تكن هناك يد مُشفقة رحيمة لتمسح عن وجهه عرق الموت، ولا كلام عطف ووِلاء ثابت ليُفرح قلبه البشري. كان يدوس المعصَرة وحيدًا؛ ولم يكن معه أحد من البشر. وإذ كان العسكر يقومون بعملهم المُخيف القاسي، وكان يسوع يحتمل أشدَّ العذاب، صلَّى يسوع من أجل أعدائه قائلاً: «يا أبتاه، اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لوقا ٢٣: ٣٤). إنَّ صلاة يسوع تلك من أجل أعدائه ضمَّت العالم بأسره، إذ أنها تحتضن كل خاطيء يعيش في هذا العالم حتى نهاية الزمان.

بعد أن سُمِّر يسوع على الصليب، رفع رجال أشدَّاء الصليب، وبعُنف شديد، غرزوه في المكان المُعد له. وهذا سبَّب أشدَّ الآلام لابن اللّٰه. والآن، جرى مشهد فظيع، نَسيَ الكهنة الرؤساء والكتبة هيبة وظائفهم المُقدَّسة، وانضموا إلى الرُّعاع في السخرية من المخلِّص في ساعة احتضاره، قائلين:

«إن كُنتَ أنت ملك اليهود، فخلِّص نفسك» (لوقا ٢٣: ٣٧). «وكذلك رؤساء الكهنة وهم مُستهزئون فيما بينهم مع الكتبة قالوا: ‹خلَّص آخرين، وأما نفسه فما يقدر أن يُخلِّصها›.» (مرقس ١٥: ٣١). الشخصيات الهامَّة في الهيكل، والجنود قساة القلوب، واللص المجرم المُعلَّق على الصليب انضمَّوا جميعًا مع الجموع الوضيعة القاسية في الإساءة إلى يسوع المسيح.

كان اللصان اللذان صُلبا مع يسوع يُقاسيان ذات العذاب والألم مع المسيح، ولكن أحدهما وهو متأثر بآلامه أمعن في تهوُّره وتحدِّيه، وكان يُردِّد كلمات الاستهزاء التي يقولها الكهنة، ويُجدِّف على المسيح قائلاً: «إن كُنتَ أنت المسيح، فخلِّص نفسك وإيَّانا» (لوقا ٢٣: ٣٩). أما رفيقه، فلم يتمثَّل به. لم يكن هذا الرجل مُجرمًا قاسي القلب. لما سمع كلمات الاستهزاء من زميله في الجرم، انتهره قائلاً: «أولا أنتَ تخاف اللّه، إذ أنتَ تحت هذا الحُكم بعينه؟ أما نحن فَبعَدل، لأننا ننال استحقاق ما فعلنا، وأما هذا فلم يفعل شيئًا لَيس في محلِّه» (لوقا ٢٣: ٤٠، ٤١). وإذ أشفَق قلبه على يسوع، أنار نور سماوي عقله. لقد رأى في يسوع، المسحوق، المُزدَرى به، والمُعلَّق على الصليب، رأى فيه مُخلِّصه ورجاءه الوحيد، وطلب منه بإيمان مُتَّضع: «اذكرني يا رب متى جئتَ في ملكوتك. فقال له يسوع: فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ إِنَّكَ الْيَوْمَ،* تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ».

---

* من خلال وضع الفاصلة «،» بعد كلمة «اليوم» وليس بعد كلمة «تكون» يصبح معنى الآية أكثر وضوحا. فيسوع نفسه قال في صباح يوم الأحد التالي إنه لم يصعد بعد إلى أبيه (يوحنا ٢٠: ١٧). من خِلال وَضْعِ الفَاصِلة بَعد كلِمة "اليومَ" وَلَيْسَ بَعْد كَلِمَة "تَكُونُ" يُصْبِحُ مَعْنَى الآية أكْثَر وُضُوحًا. فيسوعُ نفسهُ قالَ في صباح يومِ الأحد التالي إنَّه لَمْ يَصْعد بَعْد إلى أبيه (يوحنا ٢٠: ١٧). «والنَّص اليوناني يمكن قرأته أيضا كما يلي: (الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ الْيَوْمَ، مَعِي سَتَكُونُ في الفردوس) حيث أنَّ النَّصَّ اليوناني لا يحتوي على علامات الترقيم والتي أُضيفت في الترجمة إلى العربية. بمعنى أنَّه يَعِدَه في ذلك اليوم، يوم الصَّلب، بِأنَّه سيكون معهُ في الفردوس.»

(http://www.adventawakening.com/faq-items/luke23-43)

الفقرة أدناه بحاجة إلى ترجمة ليتم وضعها في أسفل الصفحة كإيضاح للنجمة بعد كلمة اليوم في الآية.

نظر الملائكة بذهول إلى المحبة غير المحدودة التي أظهرها الفادي الذي إذ كان يُقاسي أشدَّ ألوان العذاب في ذهنه وجسده، لم يكن يفكِّر إلا في الآخرين، وقد شجَّع تلك النَّفس التائبة على الإيمان. فيما كان يسكب حياته في الموت، كان يُقدِّم محبَّته للجنس البشري الضال والتي هي أشدَّ من الموت. أدرك كثيرون ممَّن رأوا مشهد الجلجثة أنَّ تلك الأحداث قد ثبَّتت إيمانهم في المسيح.

انتظر أعداء المسيح موته بفارغ الصبر. لقد تهيَّأ لهم بأنَّ موته سوف يُخمد الشائعات التي سَرَت عن قُدرته الإلهية وعجائب مُعجزاته. قالوا لأنفسهم أنهم لن يعودوا يرتجفوا من جرَّاء تأثيره. والجنود عُصاة القلوب الذين علَّقوا يسوع على الصليب، اقتسموا ثيابه واختلفوا على واحد منها خُيِّط دون درز. أخيرًا قرَّروا الاقتراع عليها. كان الوحي قد أعطى وصفًا تفصيليًا على ذلك المشهد قبل حدوثه بمئات السنين: «لأنه قد أحاطت بي كلاب. جماعة من الأشرار اكتنفتني. ثقبوا يديَّ ورجليَّ. يقسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون» (مزمور ٢٢: ١٦، ١٨).

درس في محبة الوالدين — إذ كان يسوع يجول ببصره في ذلك الجمع المُجتَمع حوله ليشهد موته، استرعى انتباهه أحد الأشخاص. فعند أسفل الصليب، كانت مريم أم يسوع مُستندَة على تلميذه يوحنا. عادت مريم أم يسوع إلى مكان ذلك المشهد الفظيع إذ لم تستطع البقاء بعيدًا عن ابنها أكثر من ذلك. آخر درس علَّمه يسوع كان عن محبة الوالدين. وإذ نظر إلى وجهها المنسحق بالحزن، ونظر بعد ذلك إلى يوحنا، نظر مُجدَّدًا إلى أمه وقال لها: «يا امرأة، هوذا ابنك!». ثم إلى يوحنا وقال: «هوذا أمك» (يوحنا ١٩: ٢٦، ٢٧). لقد فَهم يوحنا كلام المسيح وقَبل أن يكون أمينًا على تلك الوديعة. وفي الحال أخذ مريم أم المسيح بعيدًا عن ذلك المنظر المُفجع في الجلجثة. وظلَّ من تلك الساعة يرعاها بكل رقَّة ومحبة كما يليقَ بالابن البار، وأخذها إلى بيته.

إنَّ المثال الكامل للمحبة البنوية الذي يضيء بلمعان قوي لا تستطيع كلمات الأجيال أن تخفيه. حتى وهو في أشد حالات الكرب والنزاع الأخير، لم ينسَ المسيح أن يكفل راحة أمه الأرملة الحزينة، بل أعدَّ كل ما لزم ليكفل لها مستقبلها.

كانت مرسلية المسيح في حياته على الأرض على وشك الإتمام. أحسَّ بالعطش، وقال: «أنا عطشان»، فأخذوا اسفنجة ووضعوها على زوفا وغمسوها في إناء به خل وقدَّموها للمسيح ليشربها؛ وعندما تذوَّقها، رفضها. والآن، رب المجد والحياة يُسلِّم الروح، فداءً للجنس البشري. إنَّه الإحساس بعبء الخطية التي جلبت عليه غضب الآب كبديل لنا، وهذا هو الذي جعل الكأس التي شربها مُرَّة، وكسر قلب ابن اللّٰه.

لقد وُضعَت آثام الجنس البشري على المسيح كبديل لنا. حُسبَ مُذنبًا ليفتدي المُذنبين من دينونة الناموس. لقد كان إثم كل واحد من نسل آدم في كل عصر يضغط على قلب الفادي. إنَّ غضب اللّٰه على الخطية وإعلانه لسخطه العظيم على الإثم ملأ نفس المسيح حُزنًا ورُعبًا. كما أنَّ احتجاب وجه اللّٰه عن المُخلِّص في هذه الساعة، ساعة العذاب الذي لا يُطاق، اخترقت قلبه بحُزن لا يُمكن لإنسان أن يُدركه إدراكًا كاملًا. كل وخزة ألم تحمَّلها يسوع على الصليب، وقَطَرات الدَّم النازلة من رأسه ويديه وقدميه، والعذاب الذي شمل كل جسمه، والآلام التي لا يُنْطَقُ بها والتي غمرت نفسه عندما حَجَب اللّٰه وجهه عنه — كلها تنطق بأفصَح لسان وتتحدَّث إلينا قائلة: من أجلك أنت ولأنه يُحبَّك رَضيَ ابن اللّٰه أن يحمل بنفسه عبء الذنوب الثقيل هذا. من أجلكَ أنتَ قَهَرَ سُلطان الموت وفَتَحَ أبواب الفردوس والحياة الأبدية. فذاك الذي سكَّن أمواج البحر الصاخبة ومشى فوق لجج المياه الثائرة، والذي أرعَب الشياطين وجعل الأمراض تهرُب من لمسته، والذي فتح أعين العميان وأعاد للموتى الحياة — يُقدِّم نفسه على الصليب كالذبيحة الأخيرة من أجل الخُطاة. فذاك الذي حمل خطايا العالم، يتحمَّل غضب اللّٰه العادل. ولأجلك، صار الذي لم يعرف خطية، خطيَّة بذاتها.

اعتَصَر الشيطان بتجاربه القاسية قلب يسوع. تراكَمَت عليه الخطايا، الكريهة جدًا بالنسبة له، حتى تأوَّه تحت ثقلها، ولا عجب أنَّ بشريته ارتعبت في تلك الساعة الرهيبة. ذُهِل الملائكة وهم يُشاهدون عذاب ابن اللّٰه من حمْل الخطية كان أكثر بكثير مَن آلامه الجسدية التي ما كاد يشعر بها. حَجَبَ الأجناد السماويون وجوههم كيلا يروا ذلك المنظر الرَّهيب.

الطبيعة الجامدة عبَّرت عن تعاطفها مع مُبدعها المُهان وهو يحتضر. فالشمس رفضتَ أن تنظر إلى ذلك المشهدَ الرَّهيب. كانت أشعَّتها تملأ الأرض نورًا في وقت الظهيرة، ولكنها فجأة بدت وكأنها اختفت من الوجود. غطَّت الصليب ظُلمة داجية كما لو كانت غطاء نعش. امتدَّت الظلمة لمدَّة ثلاث ساعات كاملة. في الساعة التاسعة انقشعت الظلمة عن الناس، ولكن المُخلِّص ظلَّ مُكتَنفًا بها وكأنها عباءة. بدا وكأنَّ البروق الغاضبة كانت تندفع نحوه وهو مُعلَّق على الصليب. حينئذ: «صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: ‹إلوي إلوي لما شبقتني؟› (الذي تفسيره: إلهي إلهي لماذا تركتني؟)» (مرقس ١٥: ٣٤).

قد أُكمل — وقَفَ أولئك المُشاهدون صامتين يرقبون نهاية ذلك المشهد المُخيف. عادت الشَّمس لتُشرق من جديد، ولكنَّ الصليب ظلَّ مكتنفًا بالظلام. فجأة، انقشعت الظلمَة عن الصليب، وبصوت واضح كصوت بوق بدا وكأنَّه يتردد في كل أرجاء المسكونة، صرخ يسوع قائلاً: «قد أُكمل» (يوحنا ١٩: ٢٠)، «يا أبتاه في يديك أستودِع روحي» (لوقا ٢٣: ٤٦). أحاط بالصليب نور، وأشرَقَ وجه المُخلِّص بمجد عظيم كنور الشمس. حينئذ نكَّس يسوع رأسه على صدره وأسلم الروح.

في تلك اللَّحظة التي أسلَم المسيح فيها الروح، كان هناك كهنة يخدمون في الهيكل أمام الحجاب الفاصل بين القدس وقدس الأقداس. فجأة، شعروا بأن الأرض ترتجف تحت أقدامهم، وينشق حجاب الهيكل إلى نصفين من أعلى إلى أسفل بواسطة ذات اليد الخالية مِن الدَّم التي كَتَبَت كلماتَ الإدانة والموت على حائط قصر بيلشاصر.

لم يُسلِّم المسيح الروح إلا بعدما أكمل العمل الذي جاء إلى العالم

ليعمله. وفيما هو يُسلِّم الروح قال: «قد أُكمل». ابتهجت الملائكة لسماعهم تلك الكلمات، لأنَّ خطَّة الفداء العَظيمة كان يتمُّ إنجازها بانتصار. كان هناك فَرَحٌ في السماء، إذ أنَّه الآن يُمكن لأبناء آدم، من خلال حياة الطاعة، أن يَسْموا إلى حضور اللّه. انهزَم الشيطان، وعَلِم أنَّ مملكته قد ضاعت إلى الأبد.

الدَّفن — احتار يوحنا فيما ينبغي أن يفعله بجَسَد سيِّده الحبيب. ارتَعَدَ إذ فكَّر في احتمال أن يُسلَّم الجَسَد إلى الجنود القُساة عديمي الشعور ليدفنوه في قبر حقير. عَلِمَ أنهُ لن يستطيع الحصول على خدمة أو فَضْل من السلطات اليهودية، ولا كان له نفوذ لدى بيلاطس. ولكن يوسف ونيقوديموس خفَّا لنجدته. كان كلاهما عضوين في مجمع السنهدريم، ولهما صلة ببيلاطس. وكان كلاهما غنيين ويتمتَّعان بنفوذ عظيم. وقد صمَّما عَلى أن يدفنا جسد يسوع بكل إكرام.

ذَهَبَ يوسف إلى بيلاطس بكل شجاعة، وطلب جسد يسوع لدفنه. فأصدر بيلاطس أمرًا لتسليم جسد يسوع إلى يوسف. وفيما كان يوحنا مُضطربًا ومُتحيِّرًا كيف يدفن جسد سيِّده، عاد يوسف الرَّامي وبيده ترخيص من بيلاطس لأخذ جسد المسيح ودفنه. وجاء أيضًا نيقوديموس حاملاً مزيج مُرٍّ وعود غالي الثمن، نحو مائة منًّا لتحنيط الجثمان. إنَّ أعظم أشراف أورشليم ما كان ليظفر جسده بإكرام أعظم من هذا عند موته.

بكل رقَّة ووقار، أنزلا جسد المسيح مِن على الصليب بنفسيهما. انهمرت دموع العطف من مآقيهما وهما ينظران إلى ذلك الجسد المُرَضرض والمُمزَّق الذي غسَّلوه بكل عناية ونظفَّوه من لطخ الدَّم. كان يوسف يملك قبرًا جديدًا منحوتًا في الصخر، وقد كان مُحتفظًا به لنفسه. كان القبر قريبًا من جلجثة، وقد أعدَّه الآن لجسد يسوع. وبكل حرص، لفَّ يوسف جسد المسيح مع الأطياب التي أتى بها نيقوديموس في الأكفان، وحمَل التلاميذ الثلاثة حمْلَهم الغالي إلى القبر الجديد الذي لم يُدفَن فيه أي شخص من قبل. هناك، مدَّدوا جسد المسيح المُمزَّق، وطووا يديه المثقوبتين عَلى صدره الذي توقَّف فيه القلب عن الخفقان. اقتربت

النساء الجليليات ليشاهدن أنَّ كل ما يُمكن أن يُعمَل قد عُمل لجثمان مُعلِّمهنَّ العديم الحياة. ثُمَّ رأينَ الحجر الثقيل يُدحرج ويوضعَ على باب القبر المنحوت في الصخر حيث تُركَ المُخلِّص ليستريح. كانت النساء آخر مَن تَرَكْنَ الصليب وآخر مَن تَرَكْنَ قبر المسيح.

مع أنَّ الحُكَّام اليهود قد نفَّذوا خطَّتهم الشيطانية في قتل ابن اللّٰه، إلا أنَّ قلقهم لم يتلاشَ، وحَسَدَهم للمسيح لم يمُت! امتزج فرحهم بالنَّقمة التي أوقعوها على يسوع بخوفهم الدائم من أنَّ جسده الميت، المُلقى في قبر يوسف، سيخرج من قبره حيًا. لذلك، «اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون إلى بيلاطس قائلين: ‹يا سيِّد، قد تذكَّرنا أنَّ ذلك المُضل قال وهو حي: اني بعد ثلاثة أيَّام أقوم. فمُر بضبط القبر إلى اليوم الثالث، لئلا يأتي تلاميذه ليلاً ويسرقوه ويقولوا للشعب أنه قام من الأموات فتكون الضلالة الأخيرة أشرُّ من الأولى!›» (متى ٢٧: ٦٢-٦٤). لم يكن بيلاطس أقلُّ رغبة من اليهود ليَقوم المسيح بقوَّة ليُعاقب إثم أولئك الذين قتلوه، فوضع فرقة من الجنود الرومان تحت إمرة الكهنة.

أدرك اليهود الفائدة من وضع مثل تلك الحراسة حول قبر يسوع. فوضعوا ختمًا على الحجر الذي سدَّ القبر، ولم يكن ممكنًا تحريك الحجر دون كسر الختم، آخذين بذلك جميع الاحتياطات ضدَّ مُحاولة التلاميذ للقيام بأيَّة حيلة بخصوص جسد يسوع. ولكن كل محاولاتهم واحتياطاتهم لم تؤدي إلاّ إلى جعل انتصار القيامة أكثر اكتمالاً ولتثبت حقيقتها بالكامل.

الفصل ٩

الانتصار

القيامة

استراح التلاميذ في السبت، حِدَادًا على سيِّدهم، بينما كان يسوع، ملك المجد مُمَدَّدًا في القبر. وَإذ أقبل الليل، كان جند الرُّومان في مكان حراستهم يحرسون المكان حيث يستريح يسوع، بينما كان ملائكة غير مرئيين يحومون حول تلك البُقعة المُقدّسة. تناهى الليل، وبينما كان الظلام ما زال مُخيِّمًا، عَرَفَ الملائكة الحراس أنَّ الوقت قد حان لإطلاق ابن اللّٰه، قائدهم المحبوب. وإذ كانوا ينتظرون بأعمق مشاعرهم وعواطفهم ساعة انتصاره، نَزَلَ ملاك عظيم من السماء بسرعة خاطفة. كان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج. وقد أزاح نوره ظلمة الطريق مما جعل الملائكة الأشرار، الذين فلحوا في أخذ جسد يسوع، أن يهربوا هلعًا من بهائه ومجده. أحد الملائكة الذين شاهدوا اتضاع المسيح، وهو المَلاك الذي كان يحرس القبر، انضم إلى الملاك الآتي من السماء، ونزلا كلاهما إلى القبر الذي دُفنَ فيه المسيح. اتِّضاع المسيح — وكان يحرس قبره، انضمَّ إلى الملاكَ الآتي من السماء، ونزلا كلاهما إلى القبر. ارتجفت الأرض واهتزَّت عند إقبالهما، وحدث زلزال عظيم.

تملَّك الرُّعب الحرَّاس الرومان. أين هي الآن قوَّتهم للاحتفاظ بجسد يسوع؟ لم يهتموا بواجبهم أو باحتمال استيلاء التلاميذ على جسد المسيح. وإذ سطع نور الملائكة حولهم، أكثر إشراقًا من الشمس، سقط الجنود الرومان إلى الأرض كأموات. أمسَكَ أحد الملاَكين بالحجر الهائل

ودحرجه بعيدًا عن مدخل القبر، وأجلس نفسه عليه. ودخل الملاك الآخر داخل القبر وأزاح القماش من على رأس يسوع.

«إنَّ أباك يدعوك» — بَعد ذلك، بصوت جعل الأرض تتزلزل، صرخ الملاك النازل من السماء قائلاً: «يا ابن اللّه، اخرج، إنَّ أباك يدعوك!» لم يبقَ للموت سلطان عليه فيما بعد. قام يسوع من الأموات غالبًا مُنتصرًا. بخشوع جليل، نَظَرَ الملائكة المجتمعين إلى ذلك المشهد. وإذ خرج يسوع من القبر، أحنوا أنفسهم إلى الأرض ساجدين واستقبلوه بأغاني الفرح والانتصار.

شهادة الجنود الرومان — إذ تَرَكَ الملائكة السماويون القبر وتلاشى النور والمجد، تجرَّأ الحرس الروماني أن يرفعوا رؤوسهم ويتلفَّتوا حولهم. لقد امتلأوا دهشة إذ رأوا ذلك الحجر العظيم قد تدحرج بعيدًا عن باب القبر وأنَّ جسد المسيح اختفى. أسرعوا إلى المدينة ليُخبروا الكهنة والشيوخ بما رأوه. وإذ استمع أولئك القتلة إلى ذلك التقرير والشهادة العجيبة، شَحَبَت وجوههم. تملَّك الرُّعب منهم وهم يُفكِّرون بما قد فعلوه. فإذا كان التقرير صحيحًا، فهُم في عداد الضائعين. ظلوا صامتين لبعض الوقت، ينظر كل واحد منهم لوجه الآخر، غير عالمين ما يقولون أو ماذا يفعلون. إذا قبلوا التقرير فسيكونون وكأنهم يدينون أنفسهم. اختلوا جانبًا ليتشاوروا فيما سيفعلون. فكرُّوا بأنَّ احتمال انتشار تقرير الحرَّاس بين الناس سيعني بأنَّ الذين قتلوا المسيح سيُقتَلون كمُجرمين قَتَلة.

قرَّروا أن يَرْشُوا الجنود ليُبْقُوا الأمر سرًّا. فقدَّم لهم الكهنة والشيوخ مبلغًا كبيرًا من المال، وقالوا لهم: «قولوا أنَّ تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه ونحن نيام» (مَتى ٢٨: ١٣). وعندما سألهم الحرَّاس ماذا سيحلُّ بهم جرَّاء نومهم في موقع حراستهم، وَعَدَهم المسؤولون اليهود بأن يُقنعوا الحاكم لضَمان سلامتهم. ومن أجل المال، باع الحرَّاس الرومان شَرَفَهم، ووافقوا عَلى اتِّباع نصيحة الكَهنة والشيوخ.

باكورة الحصاد — عندما كان يسوع مُعلَّقًا على الصليب، صرخ قائلاً: «قد تمّ»، تشقَّقت الصخور، وتزلزلت الأرض، وتفتَّحت بعض القبور. عندما قام مُنتصرًا على الموت وعلى القبر، بينما كانت الأرض تترنَّح

ومجد السماء يُضيء حول تلك البُقعة المُقدَّسة، كثيرون من الأموات الأبرار، وإطاعة لندائه، خَرَجوا من قُبورهم كشهادة على أنه قد قام. أولئك القدِّيسون المُقامون قاموا ممجَّدين. هؤلاء كانوا مُختارين وقدّيسين من كل العصور، منذ الخليقة حتى وقت المسيح. وبينما كان قادة اليهود يسعون لإخفاء حقيقة قيامة المسيح، اختار اللّه أن يُقيم مجموعة من قبورهم ليشهدوا بأنَّ المسيح قد قام، وليُعلنوا مجده.

أولئك الذين قاموا إلى الحياة بعد قيامة المسيح، ظهروا لكثيرين يُخبرونهم بأنَّ الذبيحة من أجل البشر قد تمَّت، وأنَّ المسيح، الذي صَلَبَه اليهود، قد قام من الأموات. كبُرهان على كلماتهم، أعلنوا قائلين: «نحن أُقمنا معه». شَهِدُوا بأنه بواسطة قوَّته العظيمة أنهم دُعُوا من قبورهم. وعلى الرغم منَ الروايات الكاذبة التي انتشرت، لم يستطع الشيطان وملائكته ورؤساء الكهنة أن يخفوا حقيقة قيامة المسيح، لأنَّ تلك الجماعة المُقدَّسة، التي خرجت من القبور، قامت بنشر ومُشاركة الأخبار العجيبة والمُفرحة. أظهَرَ يسوع أيضًا نفسه إلى تلاميذه الحزانى والمُنكسري القلوب، مُبَدِّدًا مخاوفهم ومتسبِّبًا في فرحهم وابتهاجهم.

المرأة عند الصليب — في أوَّل أيام الأسبوع وفي الصباح الباكر وقبل طلوع الفجر، جاءت نسوة مُؤمنات إلى القبر، حاملات الحنوط والأطياب ليدهنَّ جسد المُخلِّص. وجدنَ بأنَّ ذلك الحجر الضخم قد أُزيح بعيدًا عن باب القبر، وأنَّ جسد يسوع لم يكن هُناك. غَرقَت قلوبهنَّ في داخلهنَّ، وخشين أن يكون أعداءهم قد أخذوا جسد المَسيح. وفجأة، رأين ملاكين في ثياب بيضاء، كان وجههما مُشرقًا ولامعًا. أدرك هذان الكائنان السماويان ما الذي جاءت النسوة لتفعلنه عند القبر، وأخبرنهُنَّ على التَّو بأنَّ المسيح لم يكن هناك. لقد قام، ولكن كان باستطاعتهنَّ أن يُشاهدن المكان الذي رقَد فيه المسيح. قال الملاكان لهُنَّ أن يذهَبْنَ ويُخبرن تلاميذه بأنه سوف يسبقهم إلى الجليل. بخوف وفرح عظيمين، أسرعَت النسوة في عودتهنَّ إلى التلاميذ الحزانى، وأخبروهم بكلِّ ما رأينه وسمعنه.

لم يُصدِّق التلاميذ بأنَّ المسيح قد قام، ولكنهم ركضوا سريعًا إلى

القبر، برفقة النسوة اللواتي أتين بالأخبار، فوجدوا أنَّ يسوع لم يكن هناك. رأوا أقمشة الأكفان، ولكنهم لم يستطيعوا أن يُصدِّقوا الأخبار السارة بأنه قد قام من الأموات. عادوا إلى بيتهم مُتعجِّبين مما شاهدوا ومن التقرير الذي أتت به النسوة إليهم.

لكنَّ مريم قرَّرت أن تبقى عند القبر، تُفكِّر فيما رأت وتشعر بالقلق إزاء فكرة أنها ربما تكون قد خُدعَت. شَعَرَت وكأنَّ هناك تجارب جديدة في انتظارها. تجدَّد حزنها، وانفَجرت في بكاء مرير. انحَنَت مرَّة أخرى لتنظر داخل القبر، وهناك وجدت ملاكين مُتَسَربلَين بثياب بيضاء. أحد الملاكين كان يجلس حيث كان رأس يسوع، والآخر جلس عند القدمين حيث كان جسد المُخلِّص مُمدَّدا. تَحدَّثا معها برفْق وسألاها لماذا تبكين؟ فقالت لهما: لأنهم «أخذوا سيِّدي، ولستُ أعَلم أين وضعوه!» (يوحنا ٢٠: ١٣).

«لا تلمسيني» — إذ استدارت بعيدة عن القبر، رأت يسوع واقفًا عن قُرْب، لكنها لم تتعرَّف عليه. تحدَّث إليها بحنان وسألها لماذا تبكين، ومَن تطلبين. وإذ ظنَّت أنه البُستاني، سألته إن كان هُوَ قد حَمَل سَيِّدها ليقول لها أين وضعه، حتى تأخذه هي. تكلَّم إليها يسوع بنفس صوته السماوي، قائلاً: «يا مريم». كانت تعرف نبرة ذلك الصوت العزيز عليها، فأسرعت تجيب: «يا سيِّد». ومن شدَّة فرحها، كانت على وشك احتضانه، ولكن، «قال لها يسوع: ‹لا تلَمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي. ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم: إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم›» (يوحنا ٢٠: ١٧). وبكل فرح أسرعت إلى التلاميذ حاملة الأخبار السارَّة. صَعدَ يسوع عاجلاً إلى أبيه ليسمع من بين شفتيه أنه قَبِل ذبيحته ولِيَتسلَّم مَنه كل سلطان في السماء وعلى الأرض.

بينما كان المُخلِّص في حضرة اللّٰه ومُحاطًا بمجده، لم ينسَ تلاميذه على الأرض. لقد تسلَّم سلطانًا من اللّٰه الآب ليعود ويُعطي تابعيه قوَّة وسلطانًا. في نفس ذلك اليوم عاد المسيح وأظْهَرَ نفسه لتلاميذه. وسمح لهم حينذاك أن يلمسوه، لأنه صعد إلى أبيه وأخذ القوَّة والسُّلطان.

توما (المُشكِّك) — لم يكن توما موجودًا في ذلك الوقت. لم يقبل

باتِّضاع شهادة التلاميذ، بل عقد العزم وأكَّد بكل ثقة أنَّه لن يؤمن بما سَمع منهم ما لم يُبصر بنفسه أثر المسامير ويضع اصبعه في مكانها، ويَضَع يده على جنب المسيح حيث طعنوه. بهذا التَّصرُّف، أظهَرَ توما ضعفًا في ثقته بإخوته، فلو أنَّ كل شخص كان ليُطالب بذات الأدلَّة، فلن يقبل أي إنسان المسيح اليوم ويؤمن بقيامته. لكن، كانت تلك هي إرادة اللّٰه أنَّ أولئك الذين لم يتمكنوا بأنفسهم أن يروا ويسمعوا المسيح المُقام ينبغي أن يتلقوا ويستلموا شهادة التلاميذ.

لم يكن اللّٰه راضيًا عن عدم إيمان توما. عندما اجتمع يسوع مع تلاميذه ثانية، كان توما معهم، وعندما رأى يسوع، آمن. لكنه كان قد أعلن أنه لن يقتنع بغير حصوله على الدَّليل باللمس، بالإضافة إلى النظر، وأعطاه المسيح الدَّليل الذي أراده. صرخ توما قائلاً: «ربِّي وإلهي!»، ولكن يسوع وبَّخه لعَدَم إيمانه وقال له: «لأنك رأيتني يا توما آمنت! طوبى للذين آمنوا ولم يروا» (يوحنا ٢٠: ٢٨، ٢٩).

سقوط قاتلي المسيح — إذ انتشر الخبر من مدينة إلى مدينة، ومن بلدة إلى بلدة، خَشيَ قادة اليهود على حياتهم وأخفوا بُغضهم للتلاميذ. كان أملهم الوحيد هو نشر الأخبار الكاذبة. وأولئك الذين ابتغوا أن تكون تلك الأخبار الكاذبة صحيحة، صدَّقوها. ارتعب بيلاطس إذ سَمعَ أنَّ المسيح قد قام. لم يستطع أن يشك في الشهادة التي أُعطيَت، ومنذ تلك الساعة، لم يعد يعرف طعم السلام. لقد حَكَمَ على يسوع بالموت في سبيل الرِّفعة الدنيوية وخوفًا من فُقدان سلطته وحياته. أصبح الآن مُقتنعًا تمامًا بأنَّه مُذنب ليس في حَقِّ دم إنسان بريء فحسب، بل دم ابن اللّٰه. عاش بيلاطس حياة بؤس إلى نهايتها. سحق اليأس والقنوط كل أمل وكل شعور بالفرح. رفض قبول العزاء، ومات بيلاطس أشنع ميتة.

أربعون يومًا مع المسيح — بقي يسوع مع تلاميذه أربعين يومًا. كان سبب فرح وسعادة لهم إذ فتح أمامهم حقائق ملكوت اللّٰه بشكل أكمل. فوَّضهم أن يحملوا الشهادة بكل ما رأوه وكل ما سمعوه حول آلامه وموته وقيامته. كان عليهم أن يُخبِّروا أنه صنع ذبيحة لأجل الخطية، وأنَّ

كل مَن يرغب، يُمكن أن يأتي إليه ويختار الحياة. وكلَّمهم بلُطف وحنان وأخبرهم أنهم سوف يُضطهدون ويحزَنون، ولكنهم سوف يجدون الفرح في استدعاء اختباراتهم معه وتذكُّر الكلمات التي تكلَّم بها إليهم. قال لهم بأنه قد غلب تجارب الشيطان، وأحرز النُّصرة خلال المحَن والآلام. وبأنّه لن يكون للشيطان سلطة عليه، ولكنه [أي الشيطان] سوف يوقع تجاربه عليهم بشكل مُباشر وعلى كل مَن يؤمنون باسم المسيح. ولكنهم يستطيعون أن ينتصروا كما انتصر هو. وَهَبَ يسوع تلاميذه قوَّة ليصنعوا المُعجزات، وقال لهم رغم أنهم سيكونون مُضطهدين من قبَل الأشرار، فمن وقت إلى آخر سوف يُرسل ملائكته لينجِّيهم؛ ولن يموتوا قبل إتمام مُرسَلِيَّتهم. حينئذ، قد يُطالبون بختم الشهادة التي حملوها بختم دمائهم.

استمع أتباع يسوع المُتلهِّفين إلى تعاليمه بفرح، متشوِّقين إلى كل كلمة تخرج من شفتيه المقدَّستين. والآن أدركوا باليقين القاطع بأنه هو مُخلِّص العالم. لقد غاصَت كلماته في أعماق قلوبهم، وسادهم الحزن لأنهم كانوا على وشك الانفصال عن مُعلِّمهم السماوي، ولن يسمعوا بعد الآن كلماته الرقيقة والمُعزيَّة. ولكن مرَّة أخرى، استدفأت قلوبهم بالحب والفرح العظيمين، إذا قال لهم المسيح بأنه ذاهب ليُعدَّ لهم مكانًا، ثم سيأتي ثانية ليأخذهم إليه، حتى يكونوا معه دائمًا. وقد وعدهم أيضًا بأنه سيُرسل إليهم مُعزِّيًا، الروح القدس، ليرشدهم إلى كل الحق، «ورفع يديه وباركهم» (لوقا ٢٤: ٥٠).

صعود المسيح

كانت السماء كلها تنتظر ساعة الانتصار عندما يصعد يسوع إلى أبيه. جاءت الملائكة لتستقبل ملك المجد ولتواكبه مُنتصرًا إلى السماء. بعد أن بارك يسوع تلاميذه، افترق عنهم وأُصعِدَ إلى السماء. وإذ صعد، سار في المقدِّمة وكان في أثَره جمهور السبايا الذين تحرَّروا عند قيامته. مجموعة كبيرة من الأجناد السَماويين رافقوا ذلك الموكب البهيج، بينما كان جمع لا يُحصى من الملائكة في السماء في انتظار قدومه.

بعدئذ، أحاط كل الأجناد السماويين بقائدهم المُمجَّد وسجدوا أمامه بحب وتقدير عميقين، واضعين تيجانهم المُتلألئة عند قدميه. وثمَّ عزفوا بقيثاراتهم الذهبية، فامتلأت السماء بأعذب الأنغام الموسيقية والترانيم للحمل الذي ذُبح، ولكنه حيّ بالقوة والمجد والكرامة.

الوعد بالعَودة — إذ نظر التلاميذ بحزن باتجاه السماء ليُلقوا النظرة الأخيرة على سيِّدهم الصاعد، وقف أمامهما ملاكان مُتسربلان بثياب بيضاء وقالا لهم: «أيها الرجال الجليليون، ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء؟ إنَّ يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه مُنطلقًا إلى السماء» (أعمال ١: ١١). تحدَّث التلاميذ فيما بينهم عن أعماله العجيبة والأحداث الغريبة والمجيدة التي حدثت في فترة قصيرة من الزمن.

غضب الشيطان — تشاور الشيطان مجدَّدًا مع ملائكته، وأخبرهم وبكراهية شديدة ضد حُكم اللّه أنه بينما ما زال يحتفظ بقوَّته وسلطانه على الأرض، يجب أن يبذلوا مجهودًا أقوى بعشر أضعاف ضدَّ أتباع يسوع. لم ينتصروا في أي هجوم على المسيح، ولكن عليهم أن يهزموا تابعيه، إن أمكن. في كل جيل من الأجيال، عليهم أن يكمنوا لأولئك الذين يؤمنون بيسوع. حينئذ، خرج ملائكة الشيطان كأُسودٍ زائرة، سعيًا لإهلاك أتباع يسوع.

الفصل ١٠

القوَّة

هذا الفصل يعتمد على ما ورد في سفر أعمال الرسل الأصحاح ٢.

عندما فتح يسوع أذهان التلاميذ ليفهموا معنى النبوات المتعلِّقة به، أكَّد لهم أنَّ كل سلطان دُفِعَ إليه في السماء وعلى الأرض، وأمَرَهُم أن يذهبوا ويُبشِّروا بالإنجيل للخليقة كُلِّها. وإذ انتعشت فجأة آمالهم القديمة بأنَّ يسوع سوف يأخذ مكانَهُ على عرش داود في أورشليم، سأله التلاميذ: «يا رب، هل في هذا الوقت تردُّ المُلك إلى أسرائيل؟» (أعمال الرسل ١: ٦). تركهم يسوع غير مُتأكِّدين بخصوص هذا الأمر بإجابته لهم: «ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الرب في سلطانه» (أعمال الرسل ١: ٧).

بدأ التلاميذ يأملون في أنْ يؤثِّر الحلول العجيب للروح القدس في شعب الله ليقبلوا يسوع. امتَنَع المُخلِّص عن شرح المزيد، لأنه عَلِمَ بأنه عندما سيأتي عليهم الروح القدس بملء فيضه سيُنير عقولهم. سيفَهمون مليًا العمل الماثل أمامهم وسيكملون ما تَرَكَه يسوع.

تجمَّع التلاميذ في العلِّيَّة، مُتَّحدين في الصلاة برفقة النسوة المؤمنات، مع مريم أم المسيح، ومع إخوته. هؤلاء الإخوة الذين لم يؤمنوا قبلاً، أصبحوا الآن مُتأسِّسين في إيمانهم برؤيتهم لمشهد الصلب وبقيامة يسوع وصعوده إلى السَّماء. كان عدد المُجتَمعين حوالي مائة وعشرين شخصًا.

نزول الروح القدس — «ولمَّا حَضَرَ يوم الخمسين، كان الجميع معًا بنَفس واحدة، وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وَملأَ كل البيت حيث كانوا جالسين، وظَهَرَت لهمَ ألسنَة مُنقَسمة كأنها مِن نار، واستقرَّت على كل واحد منهم. وامتلأ الجميع مَن الروحَ القدس،

وابتدأوا يتكلَّمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا». كان نزول الروح القدس آخذًا هيئة ألسنَة من نار، مُنقَسمة عند رؤوسها، ومُستقرة على المُجتمعين، كانت علامَة لِلموهبَة التي أُعطيَت لهم ليتكلَّموا بطلاقة بلغات عديدة لم يعرفوها من قبل. وظهور النار رَمَزَ إلى الحماس المُتَّقد الذي به سيؤدُّون العمل وإلَى القوَّة التي ستُلازم كلماتهم.

وبفعل هذه الإنارة السماوية، تجلَّت في أذهانهم تلك الأسفار التي كان المسيح قد فسَّرها لهم، وبَدَت حيَّة ومُشرقة تجلَّت فيها قوَّة الحق. وانقشع الحجاب الذي منعهم من رؤية ما كان المسيح قد أبطله، وفَهموا هدف رسالَة يسوع وطبيعة ملكوته بوضوح كامل.

بقوَّة الخمسين — كان اليهود قد تفرَّقوا إلى جميع الأمم تقريبًا، وتكلَّموا بلغات عدَّة. لقد جاؤوا من مسافات بعيدة إلى أورشليم، ومَكَثوا هناك مُؤقتًا لحضور الاحتفالات الدينَية والإيفاء بمطاليبها. كان المُتعبِّدون المجتمعون هناك يتكلَّمون بمختلف اللغات المعروفة. كان هذا التَّنوُّع في اللغات عَقَبَة كُبرى أمام خُدَّام الله لنشر مبادئ المسيح إلى أقصى بقَاع الأرض. لكنَّ الله ملأ حاجة الرُّسل بطريقة عجائبية، وبالنسبة للشعب، فقَد أثبتت هذه شهادة الشهود للمسيح بشكل كامل. لقد عَملَ لهم الروح القدس عملاً لم يكن في استطاعتهم إنجازه لأجل أنفسهم طوالَ حياتهم. أصبح في استطاعتهم الآن نشر حق الإنجيل في طول الأرض وعرضها؛ مُتحدِّثين بطلاقة لغة الأشخاص الذين يريدون أن يشهدوا أمامهم ويشاركونهم بشارة الخلاص. كانت هذه الهبة العجائبية هي أكبر دليل يمكنهم أن يُقدِّموه للعالم على أنَّ رسالتهم ومأموريتهم تحمل موافقة وقبول السماء.

«وكان يهود رجال أتقياء من كل أمَّة تحت السماء ساكنين في أورشليم. فلمَّا صار هذا الصوتَ، اجتمع الجمهور وتحيَّروا، لأنَّ كل واحد كان يسمعهم يتكلَّمون بلغته. فبُهتَ الجميع وتعجَّبوا قائلين بعضهم لبعض: ‹أترى ليس جميع هؤلاء المَتكلمين جليليين؟ فكيف نسمع نحن كل واحد منا لغته التي وُلد فيها؟›».

غَضِبَ الكهنة والرؤساءَ بشدَّة لهذا التَّطوُّر المُذهِل الذي أُذيع في

كل أنحاء أورشليم والمناطق المُحيطة، ولكنهم لم يجرؤوا لأن يتحرَّكوا وفْقَ نواياهم الشريرة خوفًا من تعرُّضهم لنقمة الشعب. لقد قتلوا السيِّد المَسيح، ولكن ها هم خُدَّامه، رجال جليليون غير مُتعلِّمين، يرسمون ملامح تحقيق النبوَّة ويُعلِّمون تعاليم المسيح بجميع اللغات المُتَكَلَّم بها حينذاك. لقد تكلَّموا بسُلطان عن أعمال المسيح العجيبة وفتحوا أمام سامعيهم خطَّة الخلاص برحمة وتضحية ابن اللّه. تأثَّر الآلاف ممَّن كانوا يستمعون وتجدَّدوا بفعل كلماتهم. واكتُسحَتْ من أذهانهم تقالِيد وخُرافات الكهنة، وقَبلوا تعاليم كلمة اللّه النَّقيَّة.

عظة بطرس — أظهَرَ لهم بطرس أنَّ ما كانوا يُشاهدونه هو تَتمَّة مُباشرة لنبوَّة يوئيل النبي، التي فيها تنبَّأ بأنَّ مثل هذه القوَّة ستحلُّ على شعب اللّه لتُعدَّهم لعمل خاص.

تَتبَّع بطرس نسَب المسيح في خطٍّ مُباشر مُرجعًا إيَّاه إلى داود الملك. لم يستخدم أيًّا من تعاليم المسيح للإدلال إلى مكَانته الحقيقية، لأنه عَلمَ أنَّ تعصُّبهم كان قَويًّا جدًا لدرجة أنه لن يجعل لتلك الدلائل أي تأثير. لكنه أحالهم إلى داود، الذي كان يَتَمَتَّعُ باحْتِرَام كبير في الأمَّة اليهودية. قال بطرس:

«لأنَّ داود يقول فيه: ‹كنتُ أَرى الرَّبَّ أمامي في كل حين، إنه عن يميني، لكي لا أتزعزع. لذلك سُرَّ قلبي وتهلَّل لساني. حتى جسدي أيضًا سيسكن على رجاء. لأنَّك لن تترك نفسي في الهاوية، ولا تدع قدُّوسك يرى فسادًا›».

يُظْهِر بُطرس هُنا أنَّ داود لم يكن قد تكلَّم عن نفسه، بل قطْعًا عن يسوع المَسيح. مات داود موتًا طبيعيًا كباقي الناس. حُفظَ قبره بعناية شديدة إلى ذلك الوقت. كملك لشعب إسرائيل وأيضًا كنبي، كُرِّم داود إكرامًا خاصًا من قِبَل اللّه. أظهر اللّه له في رؤية نبوية مُستقبل حياة وخِدمة المسيح. لقد رأى رفضه، ومُحاكمته، وصلبه، ودفنه، وقيامته، وصعوده.

شَهدَ داود بأنَّ نَفْس المسيح لن تُترك في الهاوية (القبر)، ولن يرى جسدهُ فسادًا. أظهَرَ بطرس أنَّ يسوع الناصري حقَّق تلك النبوة. فَقَدْ

أقامه الرَّب فعلاً من القبر قَبْلَ أن يتحلَّل جسده. أصبح الآن هو العلي المُرتفع في أعلى السَّمَاوَات.

في تلك المناسبة التي لا تُنسى، أصبح عدد كبير ممَّن كانوا حتى ذلك الوقت يسخرون من إمكانية أن يكون شخص بهذا التواضع مثل يسوع يمكن أن يكون هو ابن اَللّٰه، أصبحوا الآن مُقتنعين تمامًا بهذا الحق، واعترفوا به مُخلِّصًا لهم. وانضمَّ إلى الكنيسة ثلاثة آلاف شخص. تكلَّم الرُّسُل بقوَّة الروح القدس، ولم يستطع أي شخص أن يُجادل كلامهم. تمَّ تأكيد رسائلهم وكلماتهم بواسطة معجزات عظيمة، عَملوها من خلال انسكاب روح اللّٰه عليهم. ذُهلَ التلاميذ أنفسهم لما نتج عَن هذا الاستعراض لقوَّة اللّٰه ولهذا الحصاد السَريع والضخم للمؤمنين. امتلأ الجميع بالدَّهشة. أولئك الذين لم يتنازلوا عن تعصُّبهم الأعمى تملَّكتهم الرَّهبة، حتى أنَّهم لم يجرؤوا على تحدِّي أو محاولة إعاقة أو منع العمل العظيم، سواءً بالكلام أو بأعمال عنف، وانتهت مُعارضتهم مُؤقَّتًا.

لم يكن من المُمكن للحجج والبراهين التي قدَّمها الرُّسل — في حدِّ ذاتها — مع وضوحها وقوَّة إقناعها أن تُزيل تعصُّب اليهود الذين قاوموا البراهين الكثيرة التي قُدِّمَت لهم. لكن الروح القدس أرسل هذه الحجج والبراهين إلى داخل قلوبهم بقُدرة إلهية. كانت كالحِراب المسنونة من اللّٰه كُلِّي القدرة لتُبَكِّتهم على ذنوبهم الشنيعة في رفضهم وصَلْبهم لملك المجد. «فلما سَمعُوا نُخسُوا في قلوبهم، وقالوا لبطرس ولسائرَ الرُّسُل: ‹ماذا نصنع أيها الرِّجَال الإخوة؟› فقال لهم بطرس: ‹توبوا وليَعتَمدَ كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغُفران الخطايا، فتقبلوا عطيَّة الروح القدس›».

أكَّد بطرس للذين تأنَّبت قلوبهم حقيقة أنَّهم رفضوا المسيح لأنَّهم كانوا قد ضُلِّلُوا من قبَل الكهنة والرؤساء. فإن هم ظلوا يطلبون النُّصح منهم وظلوا ينتظرون اعتراف أولئك القادة بالمسيح قبل أن يفعلوا هم ذلك، فلن يقبلوه أبدًا. مع أنه كان لأولئك الرِّجال الأقوياء مظهر الورع والقداسة، إلا أنَّ سعيهم واندفاعهم كان من أجل المال والشُّهرة والمجد الدنيوي. لن يأتوا أبدًا إلى المسيح لينالوا النور. لقد أنبأ المسيح بعقاب عسير على

هؤلاء الناس لعنادهم وعدم إيمانهم على الرغم من أعظم البراهين والأدلَّة التي أُعطيت لهم بأنَّ يسوع هو ابن اللّٰه.

كانت لغة التلاميذ، منذ ذلك الوقت فصاعدًا، نقيَّة، فصيحة، بسيطة، ودقيقة، ومُتقَنة في الكلمة والنُّطق، سواء إن كانوا يتحدَّثون بلغتهم الأصلية أو باللغة الأجنبية. إن هؤلاء الرِّجال البُسطاء، الذين لم يتعلَّموا قط في مدارس الأنبياء، قدَّموا الحق بإسلوب راق وفصيح، حتى أنَّهم أدهشوا الذين استَمَعُوا إليهم. لم يكن في استطاعتهم شخصيًا أن يذهبوا إلى كل أقاصي الأرض، ولكن كان قد حَضَرَ في العيد أناس من جميع أنحاء العالم، وقد حملوا الحق الذي استلموه إلى بيوتهم المُختلفَة ونشروه بين شعوبهم وربحوا الكثيرين للمسيح.

درس لنا — لدينا هذه الشهادة حول تأسيس الكنيسة المسيحية ليس كجزء هام من التاريخ المقدَّس فحسب، ولكن أيضًا كدرس لنا. كل الذين يعترفون باسم المسيح عليهم أن يظلوا مُنتظرين، ساهرين، ومُصلِّين بقلب واحد. يجب علينا أن نطرح جانبًا كل الخلافات، وأن ندع وحدة ومحبةً وعطف كل منا للآخر تسود فوق كل ما عداها. حينئذ، يمكن لصلواتنا جميعًا أن تصعد إلى أبينا السماوي بإيمان قوي ومُخلص. عندها يمكننا أن ننتظر تحقيق الوعد بصبر ورجاء.

قد تأتي الاستجابة بسرعة خاطفة وبقوَّة ساحقة، أو قد تتأخَّر لأيام أو لأسابيع، ويُختَبَر إيماننا. ولكن اللّٰه يعلم كيف ومتى يستجيب لصلواتنا. إنَّ دورنا في العمل هو أن نضع أنفسنا في اتِّصال مع المسار الإلهي. إنَّ اللّٰه مسؤول عن دوره في العمل. والذي وَعَدَ صادقٌ في وعده. أن نكون بقلب واحد وفكر واحد هو الأمر العظيم والأكثر أهَمية، واضعين جانبًا كل حَسَدٍ وكل حقْد، وكشعب متواضعين ومُصلِّين، علينا أن نسهر وننتظر. إنَّ يسوع، شفيعَنا ورئيسنا مُستعد لأن يفعل لنا ما فعله لأولئك للمُصلِّين، والساهرين، والمراقبين في يوم الخمسين.

الفصل ١١

الارتداد

عندما أعلن يسوع لتلاميذه عن مصير أورشليم ومشاهد مجيئه الثاني، أنبأهم أيضًا باختبار شعبه منذ اليوم الذي فيه سيؤخذ منهم إلى يوم مجيئه ثانية بقوَّة ومجد كثير لإنقاذهم. ومن فوق جبل الزيتون، شاهد المُخلِّص العواصف المُزمعة أن تهب على الكنيسة الرسولية، وإذ اخترق ببصره حُجُب المُستقبل، شاهَد الأعاصير العنيفة التي ستُهاجم تابعيه في العصور المُقبلة، عصور الظلام والاضطهاد. وفي عبارات مُختصرة ذات معنى رهيب، أنبأهم بالمصائب التي سينزلها رؤساء هذا العالم على كنيسة اللّه. فعلى أتباع المسيح أن يسلكوا طريق الاتضاع والعار والألم نفسه الذي سار فيه سيّدهم، فالعداوة التي هوجم بها فادي العالم، ستُهاجم كل مَن يؤمنون باسمه.

شَهدَ تاريخ الكَنيسة الأولى على تأكيد أقوال المُخلِّص وإتمامها وصدقهَا. فقوَّات الأرض والجحيم اصطفَّت ضد المسيح في شخص أتباَعه وتلاميذه. لقد سبق للوثنية أن رأت أنه لو انتصر الإنجيل فستزول هياكلها ومذابحها. ولذلك استجمعت كل قوَّاتها وحشدت جيوشها لسحق المسيحية، وأشعلت جنودها نيران الاضطهاد. فَجُرِّد المسيحيون من أملاكهم، وسُلبَت أموالهم وطُردوا من بيوتهم وأوطانهم. لقد صبروا «على مجاهدة آلَام كثيرة»، «وقد تجرَّبوا في هُزء وجلد، ثم في قيود أيضًا وحبس» (عبرانيين ١٠: ٣٢؛ عبرانيين ١١: ٣٦). كثيرون منهم ختموا شهاداتهم بدمهم. فالسادة منهم والعبيد، الأغنياء والفقراء، العلماء والجهلاء، قُتلوا جميعًا من دون رحمة.

ولكن عبثًا حاول الشيطان أن يُهلِك كنيسة المسيح أو يُخربها بواسطة

العنف. إنَّ الصراع الهائل الذي ضحَّى فيه تلاميذ يسوع بحياتهم لم يتوقَّف عندما سقط حاملو الأعلام الأمناء أولئك في مواقفهم، بل انتصروا بهزيمتهم. لقد قُتِلَ العاملون في كرم الرب، لكنَّ عمله ظلَّ سائرًا إلى الأمام بثبات. وقد انتشر الإنجيل وزاد عدد معتنقي تعاليمه، وتغلغل في أقاليم لم يتسنَّ حتى لأعلام روما وجيوشها أن تدخلها. قال أحد المسيحيين إذ كان يحاجج الحكَّام الوثنيين الذين عزموا على مواصلة اضطهاد قطيع الرب: «يمكنكم أن تدينوننا وتعذبوننا وتقتلوننا... إن ظلمكم لنا هو خير بُرهان على براءتنا... ولن تجديكم القسوة فتيلاً». لقد كانت تلك القسوة قوَّة أعظم لإقناع الآخرين بتعاليم المسيح. ثم عاد ذلك الرجل ليقول: «وكلما سحقتمونا، زاد عددنا. إنَّ دم المسيحيين هو البذار».

لقد أُلقيَ ألوف منهم في السجون ثم قُتِلوا، ولكن قام من رمادهم آخرون ليملَأوا الفراغ الذي حدث بموتهم. والذين استشهدوا لأجل إيمانهم، حُفظُوا للمسيح، وقد حَسَبَهُم مُنتصرين. لقد جاهدوا الجهاد الحسن وسيُعْطَون إكليل المجد عند مجيء المسيح. إنَّ العذاب الذي تحمَّلوه قرَّب المسيحيين من بعضهم البعض وقرَّبهم من مُخلِّصهم أيضاً. ومثالهم الحي واستشهادهم كانا شهادة دائمة للحق، وعلى غير انتظار، ترك عبيد الشيطان خدمته وانضووا تحت لواء المسيح.

المساومة مع الوثنية — ولهذا دبَّر الشيطان خططه ليخوض حربًا أكثر نجاحًا من حربه السابقة ضد حُكم اللّٰه، وذلك بأن نَصَبَ رايته في وسط كنيسة المسيح. فإذا أمكن التغرير بأتباع المسيح وانساقوا إلى إغضاب اللّٰه، فحينئذ ستخور قواهم ويخذلهم جَلَدُهُم وثباتهم وسيسقطون فرائس سهلة المنال.

والآن ها هو الخصم العظيم يُحاول أن يكسب بالحيلة ما أخفق في الحصول عليه بالعنف. فزال الاضطهاد وحلَّت في مكانه الإغراءات الخطيرة، إغراءات النَّجاح المادي والمجد الباطل. بدأ الوثنيون يقبلون جانبًا من الإيمان المسيحي، رافضين في الوقت نفسه حقائق جوهرية أخرى. أقَروا بأنَّهم يقبلون يسوع كابن اللّٰه، ويؤمنون بموته وقيامته، ولكن لم يكن في قلوبهم

تبكيت على الخطيَّة ولم يحسُّوا بحاجتهم إلى التوبة أو تغيير قلوبهم. وإذ أبدوا بعض التنازلات من جانبهم، اقترحوا أن يتنازل المسيحيون عن بعض مبادئهم حتى يقف الجميع مُتَّحدين على مستوى واحد هو الإيمان بالمسيح.

هنا وقفت المسيحية في خطر رهيب. إنَّ السجن والتعذيب والنار والسيف كانت بركة عظيمة بالمُقارنة مع هذا. ظلَّ بعض المسيحيين ثابتين، وأعلنوا أنَّهم لا يستطيعون أن يُقدِّموا تنازلات. بينما فَكَّر آخرون أنهم إذا تَخَلّوا عن بعض مبادئ إيمانهم المسيحي أو ساوموا عليه، واتحدوا مع أولئك الذين قبلوا جزءا من المسيحية، فقد تكون هذه وسيلة لاهتدائهم الكامل. كان ذلك وقت كرب شديد لأتباع المسيح الأمناء. لقد بدأ الشيطان يتسلل إلى الكنيسة تحت ستار المسيحية الكاذبة، ليفسد إيمان المسيحيين ويحوِّل أفكارهم عن كلمة الحق.

أخيرًا، رضي مُعظم المسيحيين بخَفْض معاييرهم وشكّلوا اتحادًا بين المسيحية والوثنية. المسيحية بالوثنية. ومَع أنَّ عبدة الأوثان أقرَّوا بأنَّهم اهتدوا وانضموا إلى الكنيسة، فقد ظلوا مُتعلِّقين بوثنيتهم، مكتفين بتبديل موضوع عبادتهم بتماثيل للمسيح وحتى للعذراء والقديسين. وإذ أدخلت هذه الخميرة الفاسدة على هذا النحو إلى داخل الكنيسة، استمرت تعمل عملها الوبيل. ولقد تغلغلت في إيمان الكنيسة وعباداتها العقائد الفاسدة والشعائر الخرافية والطقوس الوثنية. وإذ اختلط أتباع المسيح بعَبَدة الأوثان، فَسَدَ الدين المسيحي وجُرِّدت الكنيسة من طهارتها وقوَّتها. ومَع ذلك فقد بقي بعض ممن لم ينقادوا وراء تلك الضلالات، وظلوا محتفظين بولائهم لمُبدِع الحق، فكانوا يعبدون اللّٰه وحده.

كان يوجد دائمًا فريقان بيَن من أقروا بأنَّهم أتباع المسيح. في حين أنَّ فريقًا منهما كان يدرس حياة المُخلِّص ويجتهد في إصلاح نقائصه والتَّشبُّه بمثال يسوع، كان الفريق الثاني ينبذ الحقائق الواضحة العملية التي تفضح ضلالاتهم. هذا، وأن الكنيسة حتى وهي في أحسن حالاتها، لم يكن كل أعضائها من الأمناء والأطهار المخلصين. لقد علَّم المخلص أن من يعتمدون الانغماس في الخطية ينبغي ألا يُقبلوا في الكنيسة، ومع

ذلك، فقد ضم إليه رجالاً مُخطئين ومنحهم فوائد تعاليمه ومثاله حتى تكون لديهم فرصة فيها يكتشفون أخطاءهم ويصلحونها.

ولكن لا يوجد اتِّفاق بين رئيس النور ورئيس الظلام، وكذلك لن يكون هنالك اتِّحاد بين أتباعهما. عندما رضي المسيحيون بأن يرتبطوا بمن كانوا نصف مهتدين من الوثنيين، بدأوا يسيرون في طريق قادهم للابتعاد شيئاً فشيئاً عن الحق. ابتهج الشيطان لكونه قد أفلح في التغرير بعدد كبير من تابعي المسيح. واستخدم قوَّته في التأثير على هؤلاء، وأوعز لهم أن يضطهدوا من ظلوا على ولائهم للّٰه. ولم يدرك أحد إدراكًا كاملاً كيف يقاوم الإيمان المسيحي الحقيقي إلا أولئك الذين كانوا قبلاً حُماته، وهؤلاء المسيحيون المرتدون اتَّحدوا مع رفاقهم الذين كانوا نصف وثنيين في محاربة تعاليم المسيح الجوهرية.

كان على من بقوا أمناء أن يثيروا حربًا يائسة لكي يثبتوا ضد المُخادعات والزَّجاسات التي أُدخلَت إلى الكنيسة، متخفيَّة تحت الثياب الكهنوتية والكتاب المقدّس، ولَم يُقبَل على أنه مقياس الإيمان وعقيدة الحُرّية الدينية أُطلق عليها اسم الهرطقة، وكان معتنقو هذه العقيدة مكروهين ومُدانين.

ضرورة الانفصال — بعد نضال طويل ومرير، قَّرر الأمناء القلائل أن يفصلوا أنفسهم تمامًا عن الكنيسة المُرتدَّة إذا رفضت التحرُّر من الأباطيل والكذب والوثنية. وقد رأوا أنَّ الانفصال لازم عليهم إذا هم أرادوا إطاعة كلمة اللّٰه. ولم يجسروا على التَّساهل مع الضلالات المُهلكة لنفوسهم، إذ بذلك يصيرون قدوة تُعرِّض للخطر إيمان أولادهم وأحفَادهم. وحتى يضمنوا السلام والاتحاد، كانوا على استعداد لأن يذعنوا لكل ما لا يتعارض مع ولائهم للّٰه. ولكنَّهم أحسُّوا أنَّ السلام سيُشترى بثمن باهظ جدًّا إذا وَجَبَ ذلك أن يُضحُّوا بمبادئهم. فإذا لم يكن ممكنًا ضمان الوحدة بغير تعريض الحق والبر للخطرَ، إذًا فليكن هنالك اختلاف بل وحرب إذا لزم الأمر. ومن الخير للكنيسة وللعالم أنَّ المبادئ التي ألهَبَت تلك النفوس الثابتة وحمَّستها تنتعش في قلوب الذين كانوا يعترفون بأنَّهم شعب اللّٰه.

أعلن بولس الرسول أنَّ «جميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتَّقوى في المسيح يسوع يضطهدون» (٢تيموثاوس ٣: ١٢). فلماذا إذًا يبدو أنَّ الاضطهاد قد خمدت ناره؟ السبب الوحيد هو أنَّ الكنيسة قد شاكَلَت العالم في مثاله ولذلك لا يُثار عليها أي اضطهاد. إنَّ الدِّيانة الشائعة في أيَّامنا هذه ليست طاهرة ولا مُقدَّسة كالتي امتاز بها الإيمان المسيحي في أيام المسيح ورسله، إنَّما فقط بسبب روح التَّساهل والمساومة مع الخطيئة، ولأنَّ حقائق كلمة اللّٰه العظيمة تُقابَل بعدم الاكتراث، ولأنَّ ما في الكنيسة من التَّقوى الحيوية قدر ضئيل جدًا، لهذه الأسباب يبدو وكأنَّ المسيحية مألوفة لدى العالم ورائجة. ولكن متى انتعش إيمان الكنيسة الأولى وموقفها من كنيسة اليوم فسيتجدَّد روح الاضطهاد وتشتعل نيرانه مُجدَّدًا.

سر الإثم

في الرِّسالة الثانية إلى تسالونيكي، أنبأ بولس الرسول بالارتداد العظيم الذي كان سيأتي نتيجة لتوطيد السلطة البابوية. فقد أعلن أنَّ يوم المسيح لن يأتي «إن لم يأت الارتداد أولاً، ويُستعلن إنسان الخطية، ابن الهلاك، المُقام والمُرتفع علَى كل ما يُدعى إلهًا أو معبودًا، حتى أنه يجلس في هيكل اللّٰه كإله، مُظهرًا نفسه أنَّه إله». وفضلاً عن ذلك فالرسول يُحذِّر إخوته قائلاً: «سر الإثم الآن يعمل» (٢تسالونيكي ٢: ٣، ٤، ٧). حتى في ذلك التاريخ القديم رأى الضلالات التي ستعد الطريق لنشر البابوية وتطورها وهي تزحف إلى داخل الكنيسة.

وشيئًا فشيئًا نرى «سر الإثم» يتسلَّل في البداية في صمت وسكون، وبعد ذلك يتقدَّم علنًا عندما حصل على سلطان وقوَّة وتسلُّط على عقول الناس، وهو يقوم بعمله التجديفي الخادع. وبطريقة لم يكد يحس بها أحد، شقَّت العادات الوثنية لنفسها طريقًا إلى داخل الكنيسة المسيحية. تراجع روح التَّساهل والخنوع بعض الوقت بواسطة الاضطهادات العنيفة التي شنَّتها الوثنية على المسيحية. ولكن بعد زوال الاضطهاد، حين دخلت المسيحية بلاط الملوك وقصورهم، ألقَت عنها رداء البساطة التي

في المسيح ورسله واستعاضت عنه بفخامة الكهنة والرؤساء الوثنيين وكبريائهم، كما استعاضت عن مطالب اللّٰه بمبادئ الناس وتقاليدهم. إنَّ اهتداء قسطنطين الإسمي الظاهري في أوائل القرن الرابع سبَّب فرحًا عظيمًا، فدخَل العالم الكنيسة مُرتديًا صورة البر. وفي ذلك الوقت، تقدَّم عمل الفساد بسرعة. والوثنية التي بدا كأنَّها انهزمت، صارت هي المُنتصرة. فلقد سيطرت روحها على الكنيسة، إذ أعثرت بتعاليمها وطقوسها وخرافاتها إيمان المعترفين بأنَّهم أتباع المسيح.

وقد نتج عن هذا التواطؤ بين الوثنية والمسيحية أن نضج «إنسان الخطية» الذي سبقت النبوات فأنبأت بأنه سيُقاوم اللّٰه ويسعى ليرتفع عليه. فذلك النظام الهائل الجبَّار، نظام الدِّيانة الكاذبة، هو ذروة قوَّة الشيطان — وقمَّة محاولاته لإحلال نفسه على العرش ليحكم على الأرض حسب إرادته.

من بين العقائد الكاثوليكية الرئيسية أنَّ البابا هو الرأس المنظور لكنيسة المسيح الجامعة، وهو مزوَّد سلطانًا فائقًا على الأساقفة والقساوسة في كل أنحاء العالم. وأكثر من هذا، فقد خلعت على البابا ألقاب اللّٰه نفسه.

عرف الشيطان كل المعرفة أنَّ الكتب المُقدَّسة تُساعد الناس على تمييز خداعه والصمود أمام قوَّته. فحتى مُخلِّص العالم نفسه صدَّ هجماته بالمكتوب. ففي كل هجوم، حمل المسيح تُرس الحق الأبدي قائلاً: «مكتوب». وأمام كل اقتراح من اقتراحات الخصم، قدَّم حكمة الكلمة وسلطانها. فلكي يظل الشيطان محتفظًا بسيادته على الناس ويثبت سلطان البابا المُغتصب، كان لابدَّ له من أن يبقيهم في حالة الجهل بالكتب المقدَّسة. إن الكتاب المقدس يُعظِّم اللّٰه ويُمجِّده، ويضع الناس المحدودين في وضعهم الصحيح. ولهذا السبب ينبغي إخفاء حقائقه المُقدَّسة وكبْتها. هذا هو المنطق الذي اعتنقته الكنيسة الرومانية، فلقد مَنَعَت تداولَ الكتاب المقدَّس طوال مئات السنين، كما حَرّمَت على الناس قراءته أو حيازته في بيوتهم، وقد فسَّر الكهنة والأساقفة المجرَّدون من المبادئ الخلقية تعاليمه بما يدعم ادعاءاتهم. وبهذه الطريقة، اعترفت

الغالبية العظمى في العالم المسيحي بأنَّ البابا هو نائب اللّٰه على الأرض وله سُلطان على الكنيسة والحكومة.

يُغيِّر الأوقات والسُّنَّة — فإذ استُبْعدَ كاشف الضلالات، أمكَن للشيطان أن يعمل ما يشاء. وقد أعلنت النبواتَ عن البابوية قولها: «ويظن أنه يُغيِّر الأوقات والسَّنَّة» (دانيال ٧: ٢٥). لم تتباطأ البابوية في محاولة القيام بهذا العمل. فلكي يعرضوا للمُهتدين من الوثنية إلى المسيحية شيئًا ما كبديل عن عبادة الأوثان، داعمين قبولهم المسيحية قبولاً إسميًا، أُدخلت عبادة التماثيل وذخائر القديسين في المسيحية تدريجيًا. وقد أقرَّ أخيرًا المجمع النيقاوي الثاني هذا النظام الوثني نهائيًّا. وحتى يكتمل ذلك الرِّجس، تجرَّأت روما على حذف الوصيَّة الثانية من شريعة اللّٰه التي تنهي عن عبادة الصور، وتقسيم الوصية العاشرة إلى اثنين ليظل عدد الوصايا كما كان.

هذه الروح الإذعانية للوثنية أفسحت الطريق لمزيد من الاستخفاف بسلطة السَّماء. وإذ بدأ الشيطان يستخدم قادة الكنيسة غير المُكرَّسين، دنَّس الوصية الرابعة أيضًا وعمد إلى إغفال يوم السبت القديم الذي باركه اللّٰه وقدَّسه. ومجَّد وعظَّم بدلاً منه عيد ‹يوم الشمس المُوقَّر› الذي كان يحتفل به الوثنيون. ولم يُحاولوا إجراء هذا التغيير علنًا في بادئ الأمر، ففي القرون الأولى كان كل المسيحيين يحفظون يوم السبت الحقيقي، وكانوا يغارون على كرامة اللّٰه. ولأنهم يؤمنون أنَّ شريعة اللّٰه ثابتة لا تتغيَّر، صانوا قُدسيَّة وصاياه بكل غيرة. ولكن الشيطان استخدم أعوانه بكل دهاء ليُتمِّموا غرضه. ولكي يتَّجه التفات الناس إلى يوم الأحد، جعلوه عيدًا إكرامًا لقيامة المسيح. وفي ذلك اَليوم، كانت تُقام الخدمات الدينية، إلا أنه كان مُعتَبَرا يوم اللهو والتسليات، وكان يوم السبت لا يزال يُحفظ مُقدَّسًا.

بينما كان قسطنطين لا يزال وثنيًا، أصدر منشورًا صار يوم الأحد بموجبه عيدًا عامًّا في كل أنحاء الإمبراطورية الرومانية، وظلَّ بعد هدايته مُدافعًا قويًّا عن يوم الأحد. ثم فرض شريعته الوثنية لصالح إيمانه الجديد. ولكن لم ينل ذلك اليوم التكريم الكافي بعد ليُحرِّم على المسيحيين اعتبار السبت الحقيقي كيوم الرب المُقدَّس. يجب أتِّخاذ خطوة أخرى: يجب

إعلاء شأن السبت الكاذب ليُصبح مُساويًا للسبت الحقيقي. بعد سنوات قليلة من إصدار قسطنطين منشوره، أضفى أسقف روما على يوم الأحد لقب ‹يوم الرَّب›. وهكذا بدأ الناس تدريجيًا يُضفون على يوم الأحد بعض القدسيَّة، ولكنهم ظلوا يعتبرون يوم السبت الحقيقي يوم الرب المقدس.

لم يكن المُضل الأكبر قد أكمل عمله. فلقد عزم على أنْ يحشد كل العالم المسيحيَ تحت لوائه، وأنْ يُمارس سلطته من خلال القائد الديني المُتكبِّر الذي كان يدَّعي أنَّه نائب المسيح. وقدَ أتمَّ غرضه عن طريق الوثنيين الذين كانوا نصف مُهتدين والأساقفة الطامعين والمسيحيين الذين بهتَهم مجد العالم. ومن وقت إلى آخر، كانت تنعقد مجامع مسكونية يلتقي فيها أحبار الكنيسة القادمين من كل ربوع العالم. وفي كل مجمع تقريبًا، كان يوم السبت الذي شرَّعه اللّه تُحطُّ كرامته وتنخفض شيئًا فشيئًا، في حين أنَّ يوم الأحد كان على العكس من ذلك يسمو ويتمجَّد. وهكذا آل الأمر نهائيًا إلى اعتبار يوم العيد الوثني مُكرَّمًا كتشريع إلهي، بينما اعتُبرَ سبت الكتاب المقدَّس تشريعًا يهوديًا بائدًا، وأُعلنَ تحريم حفظه، واللَعنة على حافظيه.

لَقد أفلَح المُرتَد العظيم في أن يرتَفع «على كل ما يُدعى إلهًا أو معبودًا» (٢تسالونيكي ٢: ٤). تجرَّأ على تَغيير الوصية الوحيدة بين وصايا الشريعة الإلهية التي تُوجِّه الجنس البشري كله توجيهًا صحيحًا إلى الإله الحي الحقيقي. فالوصيّة الرابعة تُعلن لنا أنَّ اللّه هو خالق السموات والأرض، وبذلك يمتاز عن كل الآلهة الكاذبة. ولكي تذكِّرنا هذه الوصية بعمل الخالق، علَّمتنا أنَّ اليوم السابع قد قُدِّس كيوم راحة للإنسان. وكان القصد منها جعل الإله الحي نُصب عيون الناس وعقولهم على الدوام كأصل الوجود وموضوع العبادة والسجود. إنَّ الشيطان يُحاول أن يُحوِّل الناس عن ولائهم للّه وتقديم الطاعة لشريعته، ولذلك فهو يُحوِّل كل جهوده لمحاربة تلك الوصيَّة التي تُشير إلى اللّه كخالق.

يُصرُّ البروتستانت الآن على القول أنَّ قيامة المسيَح في يوم الأحد جعلتهَ يوم الراحة المُقدَّس للمسيحيين. ولكن يُعوزهم الدَّليل الكتابي. فلا

المسيح ولا رُسله أعطوا هذا اليوم مثل هذه الكرامة. إنَّ حفظ يوم الأحد كتشريع مسيحي يجد أصله في ‹سر الإثم› الذي كان قد بدأ حتى منذ أيام بولس، فأين ومتى اعترف الرب بابن البابوية هذا؟ وأي سبب شرعي يُمكن إعطاؤه لذلك التغيير الذي لم يقرُّه الكتاب المقدس!

في القرن السادس، صارت البابوية ثابتة الأركان، وقد ثبت كرسي سلطانها في عاصمة الإمبراطورية، وأُعلن أنَّ أسقف روما هو رأس الكنيسة كلها، وأفسحت الوثنية المجال للبابَوية. لقد أعطى التنين الوحش «قدرته وعرشه وسلطانًا عظيمًا» (رؤيا ١٣: ٢). أما الآن، فقد بدأت الألف والمائتان والستون سنة من الظلمة والاضطهاد البابوي المذكورة في نبوات دانيال وسفر الرؤيا (دانيال ٧: ٢٥؛ رؤيا ١٣: ٥-٧). وقد أُرغم المسيحيون على اختيار أحد الشَّرّين: إما أن يتنحُّوا عن نزاهتهم واستقَامتهم ويقبلوا الطقوس والعبادة البابوية، وإما أن تذوى حياتهم في ظلمات السجون أو يُقاسوا آلام الموت على آلات التعذيب أو حرقًا بالنار أو قتلاً بالسيف. حينئذ تحقق كلام يسوع حين قال: «وسوف تُسلَّمون من الوالدين والإخوة والأقرباء والأصدقاء ويقتلون منكم. وتكونون مُبغضين من الجميع من أجل اسمي» (لوقا ٢١: ١٦، ١٧). وقد اشتدَّ الاضطهاد على الأمناء على نحوٍّ لم يسبق له مثيل، فصار العالم ساحة قتال عظيمة. ولمئات السنين وجدت كنيسة المسيح ملاذًا لها في العزلة والاختفاء. وهكذا يقول الرائي: «والمرأة هربت إلى البريَّة، حيث لها موضع مُعدّ من اللّٰه لكي يعولها هناك ألفًا ومئتين وستون يومًا» (رؤيا ١٢: ٦).

العصور المظلمة — حدَّد بلوغ كنيسة روما ذروة القوَّة والسلطان بدء العصور المُظلمة. ومع تعاظم سلطانها زادت الظلمة قتامة، وانحرف إيمان الناس عن المسيح، النَّبع الحقيقي، إلى بابا روما. وبدلاً من الاتكال على ابن اللّٰه لأجل غفران الخطايا والخلاص الأبدي، اتَّجه الناس إلى البابا والكهنة والأساقفة الذين زوَّدهم سلطانًا. وقد علَّموهم أنَّ البابا هو وسيطهم الأرضي، وأنَّه لا يمكن لإنسان أن يدنوا من اللّٰه إلا بواسطته، وأكثر من هذا فإنَّه بالنسبة إليه، فهو في مكان اللّٰه وينبغي أن يُطاع طاعة كاملة.

والانحراف عن أوامره ومطالبه سبب كافٍ لإيقاع المذنبين تحت أقسى العقوبات الجسدية والروحية.

وهكذا انحرفت عقول الناس عن اللّٰه إلى الإنسان المُعرَّض للخطأ والضلال والقسوة، بل انحرفوا بالحري إلى سلطان الظلمة نفسه الذي نفَّذ أغراضه واستخدم قوَّته من خلال الناس الأشرار. تنكَّرت الخطيئة في ثياب القداسة، فمتى أُغْفِلَت الكتب المقدَّسة وأُسدل الظلام وصار الإنسان يعتبر نفسه السيد المتسلِّط، فلنا أن ننتظر تفشِّي الخيانة والخداع والإثم والفساد. وإذا سادت القوانين البشرية والتقاليد الباطلة، ظهر الفساد الذي يستشري دائمًا عندما يطرح الإنسان شريعة اللّٰه جانبًا.

أيام الخطر — كانت تلك الأيام خطرة على كنيسة المسيح. وكان حاملوا لواء الحق الأمناء قليلين حقًا. ومع أنَّ الحق لم يُترك بلا شاهد، بدا في بعض الأحيان كأنَّ الضلالات والخرافات سادت سيادة كاملة، وكأنَّ الدين الحقيقي طُرِدَ من الأرض. لقد غاب الإنجيل عن الأنظار، أما طقوس الدِّيانة فزادت وتكاثرت وأثقلت كواهل الناس بالأوامر الصارمة.

تعلَّم الناس ليس فقط أن ينظروا إلى البابا كوسيطهم، بل أيضًا أن يعتمدوا على أعمالهم للتكفير عن خطاياهم. فالسَّفر الطويل لكي يحجّ الإنسان إلى الأراضي المُقدَّسة، وأعمال الكفَّارة، وعبادة الذخائر، وبناء الكنائس والمزارات والمذابح، وتقديم الأموال الطائلة بسخاء للكنيسة، هذه كلها وما شاكلها فُرِضَت على الناس لتسكين غضب اللّٰه أو لاستحصال رضاه، كما لو كان اللّٰه شبيهًا بالناس يغضب من التَّوافه أو يصفح متى قُدِّمَت له العطايا أو الأعمال الخيرية.

لقد شهدت القرون التالية ازدياد الأخطاء والضلالات الخارجة من روما والتي لم ينقطع سيلها. بل حتى قبل رسوخ قدم البابوية، لاقت تعاليم الفلاسفة الوثنيين قبولاً من الناس، وكان لها تأثير على الكنيسة. وكثيرون ممن أقرُّوا باهتدائهم إلى المسيحية ظلوا متمسِّكين بعقائد فلسفتهم الوثنية ولم يكتفوا بالاستمرار في دراستها بأنفسهم، بل ألحُّوا على الآخرين بالسير على نهجهم قائلين أنَّ تلك الفلسفة وسيلة لانتشار نفوذهم وبسطه

على الوثنيين. وهكذا أُدخلَت على الإيمان المسيحي ضلالات جسيمة. ومن أشهر تلك الضلالاتَ الاعتقاد بالخلود الطبيعي للإنسان وبوعيه في الموت. هذه العقيدة الخاطئة كانت هي الأساس الذي بَنَتْ عليه روما ضلالة الابتهال إلى القديسين وتمجيد مريم العذراء. ومن هذا نبتت أيضًا هرطقة العذاب الأبدي لمن يموتون في قساوة قلوبهم بدون توبة، هذه الهرطقة التي تسلَّلت إلى العقيدة البابوية باكرًا.

أعدَّت هذه الأشياء الطريق لإدخال اختراع جديد من إنتاج الوثنية، وقد دعته روما «المطهر» واستخدمته في إرهاب الجماهير الساذجة المتمسِّكة بالخرافات. هذه البدعة تُثبت الاعتقاد بوجود مكان لعذاب مَن لا يستحقّون الهلاك الأبدي، حتى إذا نالوا جزاءهم على خطاياهم وتطهَّروا من نجاساتهم، يُقبَلون في السماء.

وكان الحال يدعو إلى اختلاق شيء آخر يُمكِّن روما من الاستفادة من مخاوف تابعيها ورذائلهم. وقد وجدت ضالتها في بدعة صكوك الغفران. فكل من رغبوا في الانضواء تحت لواء البابا لشن الحروب بُغية توسيع أملاكه الزمنيَّة وتأديب أعدائه أو إبادة أولئك الذين تجرأوا على إنكار حقِّه في السِّيادة الروحيَّة أُعطوا وعدًا بالغُفران الكامل لخطاياهم في الماضي والحاضر والمستقبل، وبالعتق من كل الآلام والعقوبات. كما علَّموا الناس أيضًا أنَّهم إذ يبذلون من أموالهم للكنيسة، يتحرَّرون من الخطية وتُعتق أرواح أصدقائهم الموتى المحبوسة في لهيب النار والعقاب. فبهذه الوسائل وأمثالها، ملأت روما خزائنها بالأموال الطائلة وسادت الفخامة والتَّنعُّم والرذيلة التي اتَّصف بها أولئك الذين كانوا يدَّعون أنَّهم نوَّاب ذاك الذي لم يكن له أين يسند رأسه.

استُعيض عن ممارسة فريضة العشاء الرَّباني، كما جاءت في الكتاب المقدس، بالذبيحة الوثنية المدعوَّة ذبيحة القدَّاس. ادَّعى كهنة البابا أنَّهم قادرون بواسطة شعائرهم ومراسيمهم العديمة المعنى، على تحويل الخبز والخمر العاديين إلى ‹جسد المسيح ودمه› الفعلي. وبوقاحة تجديفية، ادَّعوا جهارًا أنَّهم قادرون على أن ‹يخلقوا خالقهم›، وقد

طُلب من المسيحيين، مع التهديد بالآلام والموت أن يُجاهروا بإيمانهم بهذه الهرطقة الرهيبة المُهينة للسماء. وكثيرون ممَّن رفضوا ذلك ذهبوا طعامًا للهيب النار.

كان نور الظهيرة بالنسبة إلى البابوية، ظلام نصف الليل بالنسبة إلى العالم. فالكتب المقدسة كادت تكون مجهولة تمامًا، ليس فقط من الشعب، بل حتى من الكهنة أنفسهم. فكما كان الفريسيون قديمًا هكذا، كان هؤلاء الرؤساء البابويون يُبغضون النور الذي يفضح خطاياهم. وإذ أُبْعِدَت شريعة اللّٰه التي هي نموذج البر ومقياس الكمال، كانوا يُمارسون سلطانهم بكل حرية ويجيزون الرذيلة بلا رادع. كما تفشَّى الاحتيال والجشع والبُخل وسادت الخلاعة، ولم يعد الناس يتورَّعون عن ارتكاب كل جريمة في سبيل الوصول إلى المراكز العظيمة والحصول على الغنى والمركز. ولقد مثلت في قصور البابوات والأساقفة أحطّ مشاهد الفجور والنَّجاسة. كما أنَّ بعض البابوات المتربِّعين على الكرسي البابوي ارتكبوا جرائم مُثيرة ومُنفردة جدًا بحيث أنَّ رؤساء الحكومات حاولوا عزل أحبار الكنيسة إذ اعتبروهم وحوشًا أحط مما يُمكن احتمالهم أو التغاضي عن جرائمهم. ظلَّت أوربا واقفة جامدة لم تتقدَّم في العلوم أو الفنون أو المدنية، وهكذا شمل العالم المسيحي شلل أدبي وأخلاقي وثقافي.

الفصل ١٢

المَقْدِس

قام الإصلاح البروتستانتي ليُعالج كثير من الأخطاء في كنيسة روما. وتناول المصلحون أيضًا أدوارًا أخرى وجدوها في الكتاب المقدَّس كانت منسية لزمن طويل. بحلول القرن التاسع عشر، كان الاهتمام يتزايد بين تلاميذ الكتاب المقدس بالمجيء الثاني للمسيح. توقّع كثيرون أن يحدث ذلك في النصف الأول من ذلك القرن. كانت الحركة نشطة في أمريكا حيث أصبح تابعوها يُعرفون «بالمجيئيين». توقعوا مجيء المسيح وتبرئة القدس الأرضي في عام ١٨٤٤ استنادًا على توقيت نبوي. عندما لم يتم ذلك، فتَّش بعضهم الكتاب المقدَّس ليفهم السبب.

المقدس الأرضي والمقدس السماوي — عَلِمَ تلاميذ الكتاب المقدس المخلصين أنَّ المقدس الأرضي الذي بناه موسى بأمر من اللّٰه وعلى المثال الذي أُظهر له على جبل سيناء، كان رمز للوقت الحاضر، الذي فيه تقدَّم «قرابين وذبائح» (عبرانيين ٩: ٩). تعلَّموا أنَّ الحُجرتين كانتا «أَمْثِلَةَ الأَشْيَاءِ الَّتِي فِي السَّمَاوَاتِ»؛ «لأَنَّ الْمَسِيحَ لَمْ يَدْخُلْ إِلَى أَقْدَاسٍ مَصْنُوعَةٍ بِيَدٍ أَشْبَاهِ الْحَقِيقِيَّةِ، بَلْ إِلَى السَّمَاءِ عَيْنِهَا، لِيَظْهَرَ الآنَ أَمَامَ وَجْهِ اللّٰهِ لأَجْلِنَا» (عبرانيين ٩: ٢٣؛ عبرانيين ٩: ٢٤).

إن المَقْدس الذي في السماء حيث يخدم المسيح ليشفع فينا هو المقدس الأصلي العظيم، الذي بني هيكل موسى على مثاله. وكما كان للمقدس الأرضي قسمان أو حجرتان، القدس وقدس الأقداس، هكذا يوجد موضعان مقدَّسان في المقدس السماوي. والتابوت الذي يحتوي على شريعة اللّٰه، ومذبح البخور وبعض أدوات الخدمة الموجودة

في المَقْدِس الأرضي، يوجد أيضاً نظيرهم في المقدس السماوي. سُمِحَ للرسول يوحنا في رؤية مقدَّسة أن يدخل السماء. رأى هناك الشمعدان، ومذبح البخور. «وانفتح هيكل اللّٰه في السماء وظهر تابوت عهده في هيكله» (رؤيا ٤: ٥؛ ٨: ٣؛ رؤيا ١١: ١٩).

وجد الذين كانوا يبحثون عن الحق برهانا لا يقبل الجدل عن وجود هيكل في السماء. بنى موسى الهيكل الأرضي حسب المثال الذي أُظهر له. أعلن بولس أن ذلك المثال هو الهيكل الحقيقي الموجود في السماء (عبرانيين ٨: ٢، ٥) وشهد يوحنا أنه رآه في السماء.

في ختام الألفين وثلاثمئة يوم، في ١٨٤٤، لم يكن هناك هيكلاً على الأرض منذ قرون كثيرة، وعلى ذلك، فمن المحتم أن يكون الهيكل السماوي هو الذي ظهر للعيان في ذلك الإعلان، «إلى ألفين وثلاثمائة صباح ومساء فيتبرَّأ القدس» (دانيال ٨: ١٤). ولكن كيف يكون الهيكل السماوي في حاجة إلى تبرير أو تطهير؟ اتَّجه تلاميذ الكتاب المقدس مرة أخرى إلى الأسفار المقدسة، تعلموا أن التبرئة أو التطهير لم يكن بمعنى إزالة ملوثات مادية، لأن ذلك كان يتم بفعل الدم، وعلى ذلك فلابد أن يكون هو التطهير من الخطية. يقول الرسول «فكان يلزم أن أمثلة الأشياء التي في السَّمَاوَات تُطهَّر بهذه دم الحيوانات، وأما السماويات عينها، فبذبائح أفضل من هذه» (عبرانيين ٩: ٢٣).

كانوا في حاجة لأن يفهموا خدمات الهيكل السماوي حتى يحصلوا على معرفة أكثر للتطهير الذي تشير إليه النبوة. يمكنهم معرفة ذلك فقط من خلال معرفتهم لخدمات الهيكل الأرضي. يعلن بولس أن الكهنة الذين كانوا يخدمون هناك كانوا «يخدمون شبه السماويات» (عبرانيين ٨: ٥).

تبرئة الهيكل — قديمًا، إذ كانت خطايا الشعب تنقل، رمزيًا، إلى الهيكل الأرضي عن طريق دم ذبيحة الخطية، هكذا تنقل خطايانا فعليًا أو حقيقيًا إلى الهيكل السماوي بواسطة دم المسيح. وكما أنَّ التطهير الرمزي للهيكل الأرضي يتم بإزالة الخطايا التي لوثته، كذلك التطهير الحقيقي الفعلي للهيكل السماوي لا بدَّ أن يتم بإزالة أو محو الخطايا المُسجّلة

هناك. هذا يتطلَّب فحص كتب السّجلات ليفصل المؤهلين لبَرَكَة كفارته، من خلال توبتهم عن الخطية وإيمانهم بيسوع. فتطهير الهيكلَ إذًا يحتاج إلى عمل دينونة تحقيقية. ويجب القيام بهذا العمل قبل مجيء المسيح ليفتدي شعبه، لأنه عندما يأتي، ستكون أجرته معه ليُعطي كل واحد كما يكون عمله (رؤيا ٢٢: ١٢).

وهكذا فإنَّ الذين تبعوا نور الكلمة النبوية المتقدمة أدركوا أنَّه بدلاً من مجيئه إلى الأرض في نهاية ٢٣٠٠ يوم في ١٨٤٤، انتقل المسيح في ذلك الوقت إلى قدس الأقداس في حضرة اللّٰه، ليعمل على إنهاء عمل الكفَّارة، استعدادًا لمجيئه.

رسالة مهيبة — عندما دخل المسيح قدس الأقداس في الهيكل السماوي، عهد إلى خدَّامه بآخر رسالة رحمة تقدَّم للعالم. هذا هو إنذار الملاك الثالث في رؤيا ١٤. يرى النبي في رؤيته أنَّ ابن الإنسان آتيًا بمجد ليجني حصاد العالم، بعد إعلان تلك الرسالة مُباشرة.

تحتوي رسالة الملاك الثالث (رؤيا ١٤: ٩-١٢) على أقوى إنذار مُرعب وجِّه إلى الجنس البشري على الإطلاق. يجب أن تكون تلك خطيئة شنيعة، تلك التي تدعوا لنزول غضب اللّٰه غير الممزوج بالرحمة. لا يجب أن يُترك الشعب في الظلام بخصوص ذلك الأمر الهام. إنَّ الإنذار ضد تلك الخطية يجب أن يُقدَّم للعالم قبل مجيء دينونة اللّٰه، ليعرف الجميع سبب هذه الدينونة، وتكون لهم الفرصة للنجاة منها.

في خضم هذا الصراع العظيم، توجد فئتان محددتان متناقضتان من الناس. فئة يوجد فيها كل من «يسجد للوحش ولصورته ويقبل سمته على جبهته أو على يده». وهكذا يجلبون على أنفسهم الدينونة المروعة التي أنذر بها الملاك الثالث. الفئة الأخرى في تناقض ملحوظ مع العالم، هم الذين «يحفظون وصايا اللّٰه وإيمان يسوع» (رؤيا ١٤: ٩، ١٢).

الفصل ١٣

الخلاص

(نهاية زمن الفلك) إقفال باب الشفاعة

عندما تنتهي رسالة الملاك الثالث، تكون قوة اللّٰه قد استقرَّت على شعبه. لقد أنجزوا عملهم وهم يُوعدون لساعة التجربة المقبلة عليهم. لقد نزل عليهم «المطر المتأخر» أو الانتعاش من حضرة الرب. وانتعشت الشهادة الحيَّة. والإنذار العظيم الأخير تردد في كل مكان، وقد أثار غضب وسخط الساكنين على الأرض الذين لا يقبلون الرسالة.

الملائكة كانوا يُسرعون هنا وهناك في السماء. ملاكًا يحمل محبرة بجانبه عاد من الأرض يُعلن للمسيح أنَّ عمله قد أُكمل وأنَّ كل المفديين قد تمَّ إحصاءهم وختمهم. يسوع الذي كان يخدم أمامَ تابوت العهد الذي كان يحتوي على الوصايا العشر ألقى حينئذ المبخرة من يده. رفع يديه وبصوت عظيم قال «قد تمّ»، وكل الأجناد السماويين خلعوا أكاليلهم إذ أصدر يسوع ذلك الإعلان المقدَّس «من يظلم فليظلم بعد، ومن هو نجس فليتنجَّس بعد، ومن هو بار فليتبرر بعد، ومن هو مقدَّس فليتقدَّس بعد» (رؤيا ٢٢: ١١).

لقد حكم في كل قضية للحياة أو للموت. بينما كان المسيح يخدم في الهيكل السماوي كانت الدينونة مستمرة للموتى الأبرار، وبعد ذلك للأبرار الأحياء. استردَّ المسيح مملكته وصنع كفَّارة عن شعبه ومحى خطاياهم وقد اكتمل عدد رعاياه. عرس الخروف قد تم. والمملكة والسلطان وعظمة المملكة تحت كل السماء أعطيت للمسيح ولورثة الخلاص. وسيملك يسوع كملك الملوك ورب الأرباب.

إذ خرج يسوع من قدس الأقداس، تجلجلت الأجراس المعلقة على ردائه. وعندما ترك القدس، اكتنف الظلام ساكني الأرض. لم يكن هناك شفيع بين البشر الأشرار ولا إله مهان. بينما كان يسوع وافقاً بين اللّٰه والبشر الأشرار كان هناك رادع مفروض على البشر؛ ولكن عندما ترك مكانه من بين البشرية والآب، رُفِعَ ذلك الرادع، صار للشيطان السيادة الكاملة على الذين رفضوا التوبة.

كان من المستحيل أن تقع الضربات بينما كان المسيح يخدم في الهيكل. ولكن عندما انتهى عمله فيه، وكفَّ عن شفاعته، لم يعد هناك شيء ليمسك غضب اللّٰه، وتنفجر الضربات بغضب شديد على رؤوس الخطاة الأثمة العراة دون مأوى، الذين استخفوا بالخلاص وأبغضوا التوبيخ. في ذلك الوقت الرهيب، بعد إقفال شفاعة يسوع، فإنَّ شعب اللّٰه الذين يدعوهم الكتاب المقدس — القديسين، كانوا يعيشون في نظر إله قدوس بدون شفيع. حسمت كل قضية وأُحصيت كل جوهرة.

انتهى الوقت (بعد فوات الأوان) — خلع يسوع رداء الكهنوت وألبس نفسه بأسمى رداء ملوكي. كان على رأسه تيجان كثيرة، تاج ضمن تاج ومحاط بالجند السماوي. وكانت الضربات تتساقط على ساكني الأرض. كان البعض يستنكرون اللّٰه ويلعنوه. آخرون هرولوا إلى شعب اللّٰه يتوسلون إليهم ليعلموهم كيف يهربون من دينونته. ولكن ليس للقديسين شيئاً يقدمونه لهم. لقد ذرفت آخر دمعة من أجل الأشرار. ورُفعت آخر صلاة حارة من أجلهم. والإنذار الأخير قد أُعطي لهم. ولم يعد صوت الرحمة العذب يدعوهم. عندما كان القديسون والسماء كلها تسعى لخلاصهم، لم يبدوا أي اهتمام لأنفسهم. وضع أمامهم الحياة والموت. كثيرون اختاروا الحياة ولكنهم لم يبذلوا أي مسعى للحصول عليها. لم يختاروا الحياة، ولم يعد هناك الآن دم الكفارة ليطهر الأثمة. ما من مخلص رحيم يتوسل عنهم ويصرخ «أمهلوا، أمهلوا الخاطيء». وكانت السماء كلها قد اتَّحدت مع المسيح عندما سمعوا الكلمات المهيبة «قد تم». لقد أنجزت خطة الخلاص. ولكن القليلين فقط هم الذين قبلوها. وإذ خفت ذلك

الصوت العذب تملَّك الخوف والرعب قلوب الأشرار. وسمعوا بوضوح شديد الكلمات «فات الأوان! فات الأوان!».

استشاط غضب الكثيرين من الأشرار وهم يقاسون ويلات الضربات، بعذاب مخيف. كان الآباء يلومون أبناءهم بقسوة، والأبناء يلومون آباءهم. وألقى الإخوة باللوم على أخواتهم، والأخوات على إِخْوَانهنَّ. الصرخات والولولات صعدت من كل جهة: «أنت الذي منعتني مِن قَبول الحق الذي كان يمكن أن ينجيني من هذه الساعة المريبة». ويلتفت الشعب إلى القساوسة والخدَّام ببغض مرير قائلين: «لم تخبرونا. قلتم لنا أن العالم سوف يهتدي. وأعلنتم — سلام سلام لتسكنوا كل خوف كان يثار. لم تخبرونا عن هذه الساعة؛ وأعلنتم أنَّ الذين حذرونا منها بأنهم متعصبون وأشخاص أشرار يريدون إفسادنا». ولكن القساوسة والخدَّام لم ينجوا من غضب. فقد كان عذابهم عشرة أضعاف أقسى من عذاب شعوبهم.

زمن ضيقة يعقوب

ترك شعب اللّٰه المدن والقرى وتجمَّعوا معا في جماعات، مقيمين في أقصى الأماكن انعزالاً. وفَّرت لهم الملائكة الطعام والماء. بينما كان الأشرار يُقاسون الجوع والعطش تشاور قادة العالم معا، والشيطان وملائكته ناشطين حولهم. توزعت نشرة مكتوبة في أنحاء مختلفة من البلاد، مُعْطِية الأوامر بأنه إن لم يتخلى القديسون عن معتقدهم الخاص الذي ينفردون به، ويتخلوا عن حفظ السبت ويحفظون اليوم الأول من الأسبوع، فيكون للشعب الحرية بعد فترة محددة أن يقتلوهم. ولكن في ساعة التجربة القاسية تلك كان القديسون هادئين ومتماسكين وواثقين في اللّٰه ومستندين على مواعيده بأن طريقًا للنجاة سيفتح أمامهم.

قبل موعد تنفيذ الأمر، أسرع الأشرار في بعض الأماكن ليقتلوهم، ولكن يسوع أمر ملائكته ليحرسوا القديسين. يكون اللّٰه مُكرِّمًا بإقامة عهد مع أولئك الذين حفظوا وصاياه أمام أعين أعدائهم المحيطين بهم. ويكون يسوع مكرَّمًا باختطاف المؤمنين المنتظرين قدومه لزمن طويل، دون أن يروا الموت.

كان القديسون يُقاسون آلامًا نفسية هائلة. ظهر وكأنهم محاصرون بساكني الأرض الأشرار. بدت كل الأشياء تعمل ضدهم. اضطرب البعض خوفًا من أن يكون اللّٰه قد تركهم أخيرًا ليسقطوا على أيدي أعدائهم. ولكن لو كان لعيونهم أن تنفتح لرأوا أنهم محاطون بملائكة اللّٰه. بعد ذلك جاء حشد من الأشرار الغاضبين، تبعهم جَمْعٌ غَفير من الملائكة الأشرار يحثون الحشد للتعجيل في قتل القديسين. ولكن كان على الأشرار أن يجتازوا فريق الملائكة الأشدَّاء المقدَّسين، قبل مُهاجمة شعب اللّٰه. كان ذلك مستحيلاً. أجبرت ملائكة اللّٰه الحشد الشرير لأن يتراجعوا. وأجبرت الملائكة الأشرار الذين كانوا يصطفون نحوهم على التقهقر.

صرخة للنجاة — كان وقت عذاب مخيف وكرب شديد. وهم يصرخون إلى اللّٰه نهارًا وليلاً في طلب النجاة. وكما يبدو من الظاهر أنه لا مجال لهروبهم. وبدأ الأشرار يظفرون بالانتصار وسخروا منهم قائلين: لماذا لا ينقذكم إلهكم من أيدينا؟ لماذا لا تستسلمون وتنقذوا أنفسكم؟ ولكن القديسين لم يُعيرونهم السَّمع. ولكنهم كمثل يعقوب كانوا يُصارعون اللّٰه (تكوين ٣٢: ٢٢-٣٢). كانت الملائكة تتوق لإنقاذهم، لكن كان عليهم أن ينتظروا قليلاً أيضًا. على شعب اللّٰه أن يشربوا من الكأس ويعتمدوا بمعمودية التجارب العظمى. استمر الملائكة في حراستهم، أمناء على الودائع التي بين أيديهم. اقترب الوقت ليعرض اللّٰه جبروت قوَّته وينقذ قديسيه. ومن أجل مجد اسمه سوف يُنجّي كل واحد من الذين انتظروه بصبر والذين كتبت أسماؤهم في سفر الحياة.

كانت على مثال نوح المؤمن عندما سقط المطر وجاء الطوفان. كان نوح وعائلته قد دخلوا الفلك وأغلق اللّٰه عليهم. أنذر نوح شعب ما قبل الطوفان بكل أمانة، بينما كانوا هم يستهزؤون به ويسخرون منه. وإذ كانت المياه تغمر الأرض وكانوا يغرقون الواحد تلو الآخر، رأوا الفلك الذي سخروا منه وهو يطفو بسلام فوق سطح المياه؛ حافظًا نوح وعائلته الأمناء. كان ذلك تأكيدًا على أنّ اللّٰه لن يسمح للاشرار بأنْ يهلكوا شعب اللّٰه في نهاية الزمان، أولئك الذين أنذروا العالم بكل أمانة

بشأن غضب اللّٰه الآتي وكانوا ينتظرون مجيء الرّب، ولم يخضعوا لأوامر الوحش أو يقبلوا سمته. فلو سُمِحَ للأشرار أن يقضوا على شعب اللّٰه، لكان ذلك مكافأة للشيطان ولكل جنوده ولكل من يبغض اللّٰه. فيا له من فوز يحرزه الشيطان في ذلك الصراع النهائي بجبروته الشيطاني ليتسلط على أولئك الذين انتظروا طويلاً جداً ليروا يسوع الذي أحبوه. أما الذين سخروا من فكرة صعود شعب اللّٰه، فسوف يشهدون بعناية اللّٰه لشعبه ويروا نجاتهم المجيدة.

وإذ كان شعب اللّٰه يهربون من المدن والقرى، كان الأشرار يلاحقونهم ويحاولون قتلهم. ولكن السيوف المشرعة ضدهم، انكسرت وسقطت عاجزة كالعود اليابس. دافع الملائكة عن شعب اللّٰه. وإذ صرخوا ليلاً ونهارًا، صعد صراخهم أمام اللّٰه.

نجاة شعب اللّٰه

كان الليل قد انتصف حينما أظهر اللّٰه قدرته لخلاص شعبه. وبينما كان الأشرار يستهزؤون من حولهم، ظهرت الشمس فجأة مُشرقة في قوتها، ووقف القمر في مكانه. نظر الأشرار إلى ذلك المشهد في رعب وذهول. في حين نظر الأبرار بفرح مقدس إلى دلائل نجاتهم. تبع ذلك آيات ومعجزات في تلاحق سريع. بدا كل شيء في الطبيعة خارجًا عن مألوف نظامه. كفَّت الأنهار عن جريانها. ثم ظهرت سحب ثقيلة سوداء، واصطدم بعضها ببعض. ولكن كانت هناك رقعة واحدة صافية يظهر فيها مجد يجل عن الوصف، ومنها جاء صوت اللّٰه كصوت مياه كثيرة يهز السموات والأرض. وحدثت زلزلة عظيمة. انفتحت القبور وكل الذين كانوا قد ماتوا على الإيمان برسالة الملاك الثالث، خرجوا من قبورهم ممجدَّين، ليسمعوا عهد السلام الذي أقامه اللّٰه مع الذين حفظوا شريعته.

كان الجلد يُفتح ويُغلق في فوضى عارمة. والجبال تترنَّح كالقصبة في مهب الريح وصخورها الوعرة تبعثرت في كل مكان. والبحر يثور ويهتاج ويقذف بالأحجار على اليابسة. وإذ أعطى اللّٰه عهده الأبدي لشعبه، قال

جملة واحدة ثم توقف. وقف شعب اللّٰه وعيونهم مثبتة نحو السماء، مصغين إلى الكلمات وهي تخرج من فم يهوه كجلجلة الرعود، يتردد صداها في كل أنحاء الأرض. كان مشهد مهيب جدا. وكان الأبرار يهتفون في نهاية كل جملة «مجدًا هللويا». كانت وجوههم مُستنيرة بمجد، وتشع كما كان وجه موسى عند نزوله من جبل سيناء. لم يستطع الأشرار أن ينظروا إليهم بسبب المجد المحيط بهم. وعندما أعلن اللّٰه بركته الأبدية على الذين كرَّموه بحفظ السبت مقدَّسا، صرخوا بصوت عظيم للانتصار على الوحش وصورته.

المجيء الثاني للمسيح — ثمَّ ظهرت سحابة بيضاء عظيمة جلس عليها ابن الإنسان. عندما بدأت في الظهور من بعيد، ظهرت تلك السحابة صغيرة جدًا. وإذا اقتربت من الأرض، استطاع الكل رؤية مجد وجلال يسوع آتيًا كفاتح عظيم يرافقه حشد من الملائكة القديسين بأكاليلهم الساطعة على رؤوسهم رافقوه في الطريق.

لا تستطيع أيّةُ لغة أن تصوّر ذلك المشهد. اقتربت تلك السحابة الحيَّة ذات الجلال والمجد الذي لا يُضاهى التي يجلس عليها شخص يسوع الحبيب. لا يلبس إكليل شوك بل إكليل مجد على جبينه المقدَّس «وله على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب، ملك الملوك ورب الأرباب» (رؤيا ١٩: ١٦). وجهه يسطع بنور أشدُّ لمعانًا من نور الشمس وهي تضيء في قوَّتها، عيناه كلهيب نار ورجلاه شبه النحاس النقي (رؤيا ١: ١٥ و١٦). وصوته كصوت مياه كثيرة. ارتعدت الأرض قدَّامه والتفَّت السماء كدرج. وكل الجبال والجزائر تزحزحت من مواضعها.» وملوك الأرض والعظماء والأغنياء والأمراء والأقوياء وكل عبد وكل حر، أخفوا أنفسهم في المغاير وفي صخور الجبال، وهم يقولون للجبال والصخور: اسقطي علينا وأخفينا عن وجه الجالس على العرش وعن غضب الخروف. لأنه قد جاء يوم غضبه العظيم ومن يستطيع الوقوف؟» (رؤيا ٦: ١٥-١٧).

أولئك الذين كانوا يتمنون منذ وقت قصير القضاء على أبناء اللّٰه الأمناء من على الأرض، شهدوا الآن المجد الذي استقرَّ عليهم. وفي غمرة رعبهم

سمعوا أصوات القديسين يهتفون بأصوات الفرح قائلين: «هوذا هذا إلهنا، انتظرناه فخلَّصنا» (إشعياء ٢٥: ٩).

القيامة الأولى — ترنَّحت الأرض بقوة عندما دعا ابن اللّٰه بصوته القديسين الراقدين ليخرجوا من قبورهم. لبُّوا الدعوة وخرجوا من قبورهم متسربلين بمجد الخلود وصرخوا قائلين: «الغلبة، الغلبة على الموت وعلى القبر! أين شوكتك يا موت؟ أين شوكتك يا هاوية؟» (انظر ١كورنثوس ١٥: ٥٥). ثمَّ هتف الأبرار الأحياء مع القديسين المُقامين هتاف انتصار عال وطويل وبهيج. تلك الأجساد التي دخلت القبور حاملة علامات المرضً والموت، خرجت مُتسربلة بمجد الخلود والصحة والنشاط. الأحياء الأبرار يتغيرون، في لحظة، «في طرفة عين». ومع القديسين المقامين، يُخطفون لمُلاقاة الرب في الهواء. الأصدقاء الذين فرَّق الموت بينهم طويلاً يجتمعون مَعًا ولن يفترقوا فيما بعد. يا له من لقاء مجيد!

على كل جانب من جوانب مركبةً السَّحاب أجنحة وتحتها عجلات حيَّة. والأبرار الذين في السَّحاب صرخوا قائلين: «مجدًا، هللويا.» وانطلقت المركبة صعودًا إلى المدينة المقدَّسة. قبل الدخول إلى المدينة، يُنظم المفديون على هيئة ساحة فسيحة، ويسوع في وسطهم. كانت قامة المسيح أطول من المفديين والملائكة من كتفه فأعلى. كان جميع مَن في الميدان يستطيع رؤية جلال هيئته وجمال وجهه.

مكافأة المفديين

أعداد غفيرة جدًا جاءت من المدينة حاملة الأكاليل الممجدة. إكليل لكل قديس، مكتوب عليه اسمه. وإذ دعا يسوع بطلب الأكاليل، قدَّمتها له الملائكة، وعلى رؤوس المنتصرين وضع يسوع أكاليل المجد بيده اليمنى. وعلى نفس المنوال أحضر الملائكة القيثارات وقدَّمها أيضًا يسوع للقديسين. وحينئذ بدأ الملائكة القادة العزف الموسيقي وارتفع كل صوت مسبِّحًا تسبيحة الشكر والفرح. وكل يد لامست أوتار القيثارة بلمسات ماهرة مدويَّة، فأرسلت النغمات الموسيقية العذبة.

بعد ذلك، قاد يسوع جماعة المفديين إلى أبواب المدينة. أمسك يسوع بيده على البوابة ودفعها إلى الخلف على مفصلاتها اللؤلؤية. دعا كل الأمم التي حفظت الحق للدخول إلى المدينة. كان في داخل المدينة كل ما تشتهيه العين. رأوا غنى المجد في كل مكان. ثم نظر يسوع إلى قدِّيسيه المفديين ووجوههم متألِّقة بالمجد. وإذ ثبت عينيه المحبتين، قال بصوت أعمق من أي موسيقى: «إني أرى من تعب نفسي وقد شبعت. إنَّ غنى هذا المجد هو لكم لتتمتَّعوا به إلى الأبد. أحزانكم انتهت. الموت لا يكون فيما بعد، ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع فيما بعد». سجد المفديون ووضعوا أكاليلهم المتألقة عند قدمي يسوع، ثم رفعهم يسوع بيده الحبيبة، ولامست أيديهم قيثاراتهم الذهبية ودوت الموسيقى وملأت أرجاء السماء بالموسيقى الشجيَّة والتسابيح للخروف.

ثمَّ قاد يسوع شعبه إلى شجرة الحياة. ومرة أخرى سمعوا صوته، ذلك الصوت الذي هو أقوى وأعمق من أي موسيقى سمعتها آذان إنسان قائلاً: «إنَّ ورق هذه الشجرة هي لشفاء الأمم، كلوا منها كلكم». كانت تلك الشجرة تحمل أشهى الفاكهة التي يستطيع المفديون أن يأكلوا منها بكامل حريتهم. في وسط المدينة كان أبهى عرش مجيد. ومن العرش، يخرج نهر ماء الحياة صافيًا كالبلُّور. وكانت شجرة الحياة على كل جانب من هذا النهر، وكانت أشجار جميلة أخرى على حافتي النهر تحمل ثمارًا جيدة للأكل.

يعجز اللسان عن مُجرَّد الوصف في بهاء مدينة اللّه. نستطيع فقط أن نهتف قائلين: «يا لها من محبة، يا لها من محبة عجيبة. لا يمكن لأفصح لسان أن يصف أمجاد السماء أو عمق محبة المسيح التي لا تُضاهى.

الفصل ١٤

إصدار الحُكم

الألف سنة

على الأرض، تمَّ هلاك الأشرار. تناثرت جثثهم على سطح الأرض. كان غضب اللّه قد انسكب على ساكني الأرض من خلال الضربات السبع، مما جعلهم يقضمون ألسنتهم من شدَّة الألم ويُهينون اللّه. وبعد نجاة القديسين بصوت اللّه، تحوَّل غضب الأشرار كل واحد منهم نحو الآخر. بدا وكأن الأرض تغرق في طوفان الدم. وانتشرت جثث الموتى من أقصاء الأرض إلى أقصائها.

بدت الأرض كلها ككفر خرب. المدن والقرى التي دمرها الزلزال، تُركت ركامًا. اقتُلعَت الجبال من أماكنها تاركة كهوفًا واسعة. الصخور الخشنة التي قذفَها البحر أو اقتُلعَت من الأرض نفسها تبعثرت على سطحها. أشجار ضخمة اقتُلعَت من جذورها وتبعثرت على سطح كل الأرض. سيكون هذا هو موطَن الشيطان وملائكته على مدى ألف سنة. يكون حبيسًا فيها. وخلال الألف سنة، سيجول الشيطان وملائكته هنا وهناك في الأرض الخربة ليرى نتائج عصيانه ضد شريعة اللّه. ولمدى ألف سنة يمكنه أن يستمتع بنتيجة لعنة الأرض التي تسبَّبَ بها.

وإذ يكون محصورًا في الأرض، لن يمكنه الوصول إلى عوالم أخرى ليُجرِّب ويزعج أولئك الذين لم يسقطوا قط. في هذه المدَّة، ستكون آلامه هائلة. كانت حياة الشيطان حياة النشاط الدائم منذ سقوطه. ولكن خلال الألف سنة، سيُجرَّد من سلطانه، ويُترك ليتأمَّل مليًا في الدور الذي لعبه منذ سقوطه، ولينظر بخوف ورعب إلى المستقبل المُخيف الذي يجب أن يتألم فيه لأجل كل الشر الذي فعله ويُعاقب على كل الخطايا التي جعل الناس يرتكبونها.

جاءت هتافات النصر من أفواه الملائكة والأبرار المفديون كأنغام عشرة آلاف آلة موسيقية. لأنَ الشيطان لم يعُد يستطيع بعد أن يُقلقهم أو يجرِّبهم، لأنَّ ساكني العوالم الأخرى تخلَّصت من وجود الشيطان وتجاربه.

جلس يسوع والمفديون على عروش. وملك القديسون كملوك وكهنة أمام اللّٰه. وأدان المسيح بصحبة شعبه، الأشرار الأموات، فاحصين أعمالهم بأحكام كتاب الشريعة — كلمة اللّٰه — حسب أعمالهم. وحكموا عليهم حسب الأعمال التي جاءوا بها حسب الجسد (انظر رؤيا ٢٠: ٤-٦). وأُعطوا حُكمًا على الأشرار بقدر العذاب الذي عليهم أن يقاسونه حسب أعمالهم. وكانت مكتوبة أمام أسمائهم في سفر الموت. وأدان يسوع والقديسون أيضًا الشيطان وملائكته. سوف يكون قصاص الشيطان أرهب بكثير من قصاص الذين قد أضلَّهم، وعذابه سوف يفوق عذابهم بما لا يُقارن معهم. وبعد أن هلك كل من كان قد غرَّر بهم، فإنَّ على الشيطان أن يظلَّ حيًّا ويقاسي الأهوال لزمن أطول بكثير.

بعد أن تمَّت دينونة الأشرار الموتى، في نهاية الألف سنة، ترك يسوع المدينة وتبعه القديسون وجموع من الملائكة. ونزل على قمَّة جبل عظيم. وإذ وطأت قدماه الجبل، انشقَّ وأصبح واديًا عظيمًا جدًا. ثم ظهرت عاليًا المدينة الهائلة الجميلة بأساساتها الاثني عشر وبواباتها الاثني عشر، ثلاثة على كل جانب، وملاك عند كل من البوابات. هتف المفديون «المدينة! المدينة العظيمة! نازلة من عند اللّٰه، خارجة من السماء!» ونزلت بكل بهائها وجلال مجدها. واستقرَّت في ذلك السهل العظيم الذي أعدَّه يسوع لها.

القيامة الثانية — بعد ذلك، غادر يسوع وجمهور الملائكة والقديسون المدينة، وأحاط الملائكة قائدهم ورافقوه في طريقه، وتبعهم موكب القديسون المفديون. بعد ذلك، دعا المسيح بصوت رهيب وبجلال مهيب الموتى الأشرار ليعودوا إلى الحياة. فخرجوا في ذات الأجساد الواهنة والمريضة التي كانت لهم عند دخولهم إلى القبر. يا له من مشهد! أولئك الذين خرجوا في القيامة الأولى، خرجوا في شباب خالد جميل، أما في القيامة الثانية، فقد ظهرت علامات اللعنة والشر بادية على الجميع.

الملوك ونُبلاء الأرض الفقراء والأدنياء، المتعلمون وغير المتعلمين يخرجون معًا من القبور. جميعهم يُشاهدون ابن اللّه. أولئك الأشخاص أنفسهم الذين ازدروا به وسخروا منه، الذين وضعوا إكليل الشوك على جبينه المقدَّس، وضربوه بالقصبة، يرونه الآن بجلاله الملوكي. أولئك الذين بصقوا عليه في ساعة مُحاكمته، يتحوَّلون الآن عن نظرته الثاقبة والمجد المُشرق على وجهه. هؤلاء الذين ثقبوا المسامير في يديه ورجليه، ينظرون الآن علامات صلبه. والذين طعنوه في جنبه يرون شناعة قسوتهم على جسده وهم يعلمون أنه هو ذات الإنسان الذي صلبوه وسخروا به في لحظات الموت. حينئذ، ترتفع صرخات عالية طويلة وهم يهربون ليختبئوا من أمام ملك الملوك ورب الأرباب.

الجميع يُحاولون الاختباء في الصخور ليحموا أنفسهم من المجد المُهيب لذلك الذي كانوا قد أهانوه قبلاً. وفي انسحاقهم وعذابهم من جلاله وعظيم مجده، رفعوا أصواتهم معًا بجلاء ووضوح رهيب قائلين: «مُبارك الآتي باسم الرب».

يعود يسوع والملائكة القديسون وجميع المفديون إلى المدينة. ومن الهالكين ترتفع صرخات النَّحيب والعويل المُرَّة فتملأ الجو. بعد ذلك، بدأ الشيطان عمله من جديد. تجوَّل بين رعاياه، وبثَّ القوَّة في الضعفاء وألهمهم بأنه وملائكته أقوياء. وأشار إلى الملايين التي لا تُحصى الذين أُقيموا من الأموات. كان هناك رجال حرب وملوك محترفون في المعارك قهروا ممالك. وكان جبابرة بأس ورجال بواسل لم ينهزموا قط في معركة. كان هناك نابليون الطامح المتكبِّر الذي كانت الممالك ترتجف إذ يقترب منها. كان هناك أيضًا رجال ذوي مقامات سامية كانوا قد خسروا معاركهم متعطِّشون للانتصار.

وإذ يخرجون من قبورهم، يستأنفون تفكيرهم السابق الذي توقَّفوا عنده بسبب الموت. لديهم ذات الرَّغبة الجامحة للانتصار على مَن كانوا يحكمونهم عند سقوطهم. يتشاور الشيطان مع ملائكته، ثم مع المَلوك ومع القادة والفاتحين ورجال البأس. ثم يمدُّ بصره لينظر إلى الجيش الهائل ويُخبرهم أنَّ المجموعة في داخل المدينة قليلة العدد وضعيفة ويمكنهم التقدّم

للاستيلاء عليها، ويطردون ساكنيها ويستملكون غناها ومجدها لأنفسهم.

ينجح الشيطان في خداعهم. وفي الحال يبدأ الجميع في التَّأهُّب للقتال. يوجد رجال مهرة كثيرون ضمن ذلك الجيش الكبير ويصنعون كل أنواع أسلحة القتال. ثم تنطلق تلك الجموع والشيطان يتقدَّمهم. الملوك وجبابرة الحروب يتبعون الشيطان عن قُرب، والجموع تتبعهم ضمن جماعات مُنظَّمة. كل جماعة لها قائدها الخاص، وبدقَّة حربية تتقدَّم تلك الصفوف فوق سطح الأرض المُشقَّق نحو مدينة اللّه. يُغلِق يسوع أبواب المدينة، فتُحاصرها جيوش الشيطان ويضعون أنفسهم في حالة حرب متوقِّعين معركة شَرِسة.

تتويج المسيح

مرة أخرى يُظهر المسيح نفسه أمام أعدائه. وفوق المدينة على ارتفاع شاهق، يوجد عرشٌ عالٍ ومُرتَفِع على أساس من الذهب المصقول. وعلى هذا العرش يجلس ابنُ اللّه وحوله رعايا ملكوته. لا يُمكن لأفصح لسان أن يصف قُدرة المسيح وجلاله. ولا يُمكن لقلم كاتب أن يُصوِّره. مجد اللّه السرمدي يُحيط بابنه. وبهاء حضوره يملأ مدينة اللّه، ويفيض خارج الأبواب ويملأ الأرض كلها ببهائه.

وأقرب الناس إلى العرش هم أولئك الذين كانوا قبلاً مُتحمِّسين للشيطان، ولكنهم كانوا كشُعلة مُنتشلة من الحريق، اتَّبعوا مخلِّصهم في تكريس عميق قوي. ويلي هؤلاء، أولئك الذين قد كملوا الصفات المسيحية واحتفظوا بها في وسط الكذب والإلحاد، أولئك الذين أكرموا شريعة اللّه في وقت اعتبرها العالم المسيحي باطلة. وملايين من كل الأجيال الذين استشهدوا لأجل إيمانهم. وخلف هؤلاء يوجد «جمع كثير لم يستطع أحد أن يعدَّه من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة واقفون أمام العرش وأمام الخروف، مُتسربلين بثياب بيض وفي أيديهم سقف النخل» (رؤيا ٧: ٩) لقد انتهت حربهم، وأحرزوا نصرهم. لقد أكملوا السعي واخذوا الجعالة. إنَّ سعف النخل التي في أيديهم هي رمز الانتصار، والثياب البيض هي رمز لبر المسيح الخالي من العيب الذي صار لهم الآن.

ينشد المفديون ترنيمة حمد يتردد صداها في كل أرجاء السماء: «الخلاص لإلهنا الجالس على العرش وللخروف». والملائكة والسرافيم يشتركون بأصواتهم في هذا التمجيد. وكما رأى المفديون قوَّة الشيطان ومقاصده الشريرة، فقد رأوا كما لم يروا قبلاً أنه لا توجد قوَّة غير قوَّة المسيح كان يمكن أن تمنحهم النصرة. وفي كل ذلك الجمع المتألق بالنور، لا يوجد أحد ينسب الخلاص لذاته كما لو أنه قد انتصر بقوَّته وصلاحه. ولا يذكر شيئًا عمَّا فعلوه أو قاسوه، ولكن عبء كل ترنيمة ومطلع كل أنشودة هو: «الخلاص لإلهنا وللخروف» (رؤيا ٧: ١٠).

وفي محضر سُكَّان الأرض والسماء المجتمعين يتوَّج ابن اللّٰه نهائيًا. والآن وقد زُوِّد بالجلال والمجد الفائقين، فإنَّ ملك الملوك ينطق بحكمة ضد العُصاة على سلطانه وينفذ عدله على من قد عصوا عليه وتعدُّوا شريعته وضايقوا شعبه وظلموهم. يقول نبي اللّٰه: «ثم رأيت عرشًا عظيمًا أبيض، والجالس عليه الذي من وجهه هربت الأرض والسماء ولم يوجد لهما موضع. ورأيت الأموات صِغارًا وكبارًا واقفين أمام اللّٰه. وانفتحت الأسفار. وانفتح سفر آخر هو سِفر الحياة. ودين الأموات مما هو مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم» (رؤيا ٢٠: ١١، ١٢).

وحالما تُفتَح الأسفار، وتقع عين يسوع على الأشرار، يشعرون بكل خطية ارتكبوها، ويرون المكان ذاته الذي فيه انحرفت أرجلهم بعيدًا عن طرق القداسة والطهارة، وإلى أي مدىً ساقتهم الكبرياء والتَّمرُّد للتَّعدِّي على شريعة اللّٰه، والتَّجارب الخادعة التي شجَّعوها على تضليلهم بانغماسهم في الخطيئة. والبركات التي عكسوها. وأمواج الرَّحمة التي صدُّوها بقلوبهم القاسية غير التَّائبة. كل هذه تظهر واضحة كما لو كانت مكتوبة بحروف من نار.

مشهد الصراع العظيم — فوق العرش يرون الصليب، وتظهر مشاهد آدم وسقوطه، والخطوات المتتابعة في تدبير الفداء العظيم. تظهر كما على شاشة بيضاء فسيحة (كمشهد بانوراما). فالميلاد المتواضع للمُخلِّص، وحياته في صباه التي اتَّسمت بالبساطة والطاعة ومعموديته

في نهر الأردن، والصوم والتَّجربة في البرية، وخدمته الجهارية التي قدَّم فيها للرجال والنساء أثمن بركات السماء، والأيام التي ازدحَمَت بأعمال المحبَّة والرَّحمة، وليالي الصلاة والسَّهر مُعتزلاً في الجبال، والجزاء الذي ناله من مؤامرات الحسد والكراهية والخُبث في مقابل الخير العظيم الذي نالوه على يده، والعذاب الأليم المرعب الغامض في جثسيماني تحت الثقل العظيم لخطايا العالم كله، وتسليمه لأيدي الرَّعاع المُجرمين القتلة، والأحداث المُرعبة التي حدثت في ليلة الرُّعب تلك: الأسير المُستسلم، متروك من تلاميذه الذين أحبَّهم، يُساق بكل قسوة وعُنف في شوارع أورشليم، ابن اللّه يَمْثُل بكل فرح وانتصار أمام حنانيا ويُحاكم في دار ولاية رئيس الكهنة وأمام هيرودس الجبان القاسي، وقد سخروا به وأهانوه وعذَّبوه وحُكم عليه بالموت، كل ذلك يُصوَّر بكل وضوح.

والآن، تُعْلَن المشاهد النهائية أمام ذلك الجمع الحاشد: المتألِّم الصبور يسير في الطريق إلى الجلجثة، ملك السماء يُعلَّق علَى الصليب، الكهنة والرُّعاع يهزأون بآلام احتضاره، الظلمة غير الطبيعية تغشي الأرض، الأرض التي تزلزلت، الصخور التي تشقَّقت، القبور التي تفتَّحت، محددة اللحظة التي فيها أسلم فادي العالم روحه.

يبدو المنظر الرهيب كما كان تمامًا. الشيطان وملائكته وأتباعه لا يستطيعون الابتعاد عن الصورة التي تُصوِّر عملهم. فكل ممثِّل يذكر الدور الذي أدَّاه. هيرودس، الذي قتل أطفال بيت لحم الأبرياء لكي يهلك ملك إسرائيل، وهيروديا الشريرة التي تقع على نفسها الآثمة دم يوحنا المعمدان، وبيلاطس الضعيف المتخاذل؛ الجنود الساخرون؛ الكهنة والشيوخ والشعب الثائر الغاضب الذي صرخ قائلاً: «دمه علينا وعلى أولادنا» — الجميع رأوا هول جريمتهم. عَبَثًا يُحاولون الاختباء من جلال وجهه الإلهي الذي يكسف بهاء الشمس، بينما يطرح المفديون أكاليلهم عند قدمي المُخلِّص هاتفين: «لقد مات عنَّا».

بين جموع المفديين يوجد رُسُل المسيح، بولس الشجاع، بطرس الغيور، يوحنا المُحِب والمحبوب، وإخوتهم المخلصون، ومعهم الحشد الهائل

من الشهداء، بينما خارج الأسوار مع كل ما هو دنس ورجس، يوجد الذين اضطهدوهم وحبسوهم وقتلوهم. هناك نيرون ذلك الوحش الذي اشتهر بالقسوة والرَّذيلة، وهو يرى فرح وكرامة أولئك الذين كان قد عذَّبهم سابقًا، وهم الذين كان يجد سروره الشيطاني وهو يراهم يُقاسون أقسى العذاب. أمُّه موجودة هناك لتشهد نتيجة عملها ولترى كيف أن الطابع الأخلاقي الشرير قد انتقل إلى ابنها، والأهواء والشهوات التي تجرَّأ على السير فيها وتنميتها بقوة تأثيرها ومثالها، قد أتت ثمارها في الجرائم التي جعلت العالم يرتعد من هولها.

هناك كهنة وأساقفة ممَّن ادَّعوا أنهم سُفراء المسيح، ومع ذلك فقد لجأوا إلى آلات التعذيب والسجون والحرق بالنار ليتحكَّموا في ضمائر شعبه. وهناك الباباوات المتكبِّرون الذين رفعوا أنفسهم فوق اللّٰه وتجرأوا على تغيير شريعة اللّٰه العلي. هؤلاء المدعوون آباء الكنيسة، عليهم حساب يُقدِّمونه أمام اللّٰه، والذي يشتاقون لو يُعفّوا منه. سيرون بعد فوات الأوان أنَّ اللّٰه كلِّي المعرفة غيور على شريعته، وأنَّه لن يُبرِّر المُذنب. يُدركون الآن أنَّ المسيح يقرن نفسه مع شعبه المتألِّمين ويحسون بقوة كلماته: «بما أنَّكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم» (متى ٢٥: ٤٠).

أمام محكمة اللّٰه — يقف العالم الشرير كله متَّهمًا أمام محكمة اللّٰه، بتهمة الخيانة العُظمى ضدَّ حُكم السَّماء. والهالكون لا يجدون مَن يترافع عنهم في قضيتهم. فهم بلا عُذر. وقد صدر الحُكم ضدَّهم بالموت الأبدي.

لقد اتَّضح للجميع الآن أنَّ أجرة الخطية ليست الاستقلال النبيل والحياة الأبدية، بل العبودية والدَّمار والموت. يرى الأشرار ما أضاعوه بحياة العصيان التي عاشوها. لقد ازدروا «ثقَل المجد الأبدي الاستثنائي» عندما قُدِّم لهم. ولكن كم يبدو مرغوبًا فيه الآن. تصرخ النفس الهالكة لتقول: «كان يمكنني امتلاك كل هذا، ولكنني اخترت أن أبعد كل هذه الأشياء عنِّي». آه، يا له من جنون غريب! لقد استعضتُ عن السلام والسعادة والكرامة بالشَّقاء والعار واليأس. يرى الجميع أنَّ طردهم من السماء عادل. أعلنوا في حياتهم: «لا نريد أنَّ يسوع هذا يملك علينا».

نظر الأشرار إلى تتويج ابن اللّٰه وكأنَّهم مفتونون. يرون بين يديه لوحي

الشريعة الإلهية، الشرائع التي احتقروها وعصوها، ويشهدون الدَّهشة والفرح والتمجيد الذي يُقدِّمه المُخلَّصون. وإذ تكتسح موجة النَّغمات المُطربة الجموع خارج المدينة، يصرخ الجميع بصوت واحد: «عظيمة وعجيبة هي أعمالك أيها الرب الإله القادر على كل شيء. عادلة وحق هي طرقك يا ملك القديسين» (رؤيا ١٥: ٣). وإذ يسقطون على وجوههم، يُقدِّمون السجود لرئيس الحياة.

الموت الثاني — يبدو الشيطان كأنَّه شتَّت قواه، إذ يرى مجد المسيح وجلاله. فذاك الذي كان قبلاً كروبًا مُظلِّلاً، يذكر من أينَ سَقَط. كان أحد الساروفيم المتألِّقين بالنور و«ابن الصبح». كم تبدَّل، كم انحط!

يرى الشيطان أنَّ تمرُّده الذي أقدم عليه بمحض اختياره لا يؤهِّله للسماء. لقد درَّب قواه على مُحاربة اللّٰه، وهكذا فسوف تكون الطَّهارة والسلام وانسجام السماء بالنسبة له مصدر عذاب هائل. إن اتِّهاماته ضد رحمة اللّٰه وعدله، أُسْكتَت الآن. والعار الذي حاول أن يُلصقه بالرب يستقر كله عليه. والآن، فها هَو الشيطان ينحني مُعترفًا بعدالة الحُكم الذي صدر ضدَّه.

اتَّضح كل سؤال أو شك فيما يخص الحق والضلال في الصراع الهائل الطويل الأمد. تقف عدالة اللّٰه مُبرَّأة تمامًا. وأمام المسكونة كلها، عُرضت بكل وضوح الذبيحة العظيمة التي قدَّمها الآب والابن لأجل الإنسانَ. وقد أتت الساعة التي يتبوَّأ فيها المسيح مركزه الشرعي ويتمجَّد فوق الرياسات والسلاطين وكل اسم يُسمَّى.

على الرَّغم من أنَّ الشيطان قد أُجْبرَ على الاعتراف بعدالة اللّٰه والانحناء أمام سيادة المسيح، إلا أنَّ صفاتَه تبقى كما هي، لا تتغيَّر. روح العصيان ترتد عليه كسيل جارف. فإذ يمتليء بالجنون، يُصمِّم على عدم الاستسلام في الصراع العظيم. جاء الوقت لصراع يائس أخير ضدَّ مَلَك السماء. فيندفع بين رعاياه ويُحاول إلهامهم بما يعتمل في صدره من ثورة واهتياج. ويُثيرهم للاشتباك في الحرب في الحال. ولكن من بين الملايين التي لا تُحصى، الذين أغواهم على العصيان، لا يوجد الآن ولا واحد يعترف بسيادته. لقد انتهى سلطانه. والأشرار تملأهم ذات الكراهية للّٰه التي

تعتمل في قلب الشيطان تجاه اللّٰه. ولكنهم يرون أنَّ قضيتهم ميؤوسٌ منها وأنَّهم لا يستطيعون الانتصار على يهوه. فيثور غضبهم ضد الشيطان وضدَّ الذين كانوا أعوانه في الخداع. وبضراوة الشياطين يرتدُّون عليهم، ويتبع ذلك مشهد صراع عالمي.

حينئذ، تتحقق كلمات النبي: «لأنَّ للرَّبِّ سخطًا على كل الأمم وحموًا على كل جيشهم. قد حزمهم، دفعهم إلى الذبح» (إشعياء ٣٤: ٢). «يُمطر على الأشرار فخاخًا، نارًا وكبريتًا، وريح السموم تصيب كأسهم» (مزمور ١١: ٦). تنزل النار من عند اللّٰه من السماء، والأرض تنكسر. وأسلحة الطبيعة المُخبَّأة في أعماقها تخرج. فتخرج من فجواتها نار محرقة. الصخور ذاتها تشتعل بالنيران. لقد جاء اليوم «المُتَّقد كالتَّنور» (ملاخي ٤: ١) «تنحل العناصر مُحترقة، وتحترق الأرض كُتلة واَحدة ذائبة — بحيرة واسعة من النار تغلي. إنه وقت الدينونة والهلاك للأشرار «لأنَّ للرب يوم انتقام، سنة جزاء من أجل دعوى صهيون» (إشعياء ٣٤: ٨).

ينال الأشرار جزاءهم العادل في الأرض، «يكونون قشًّا، ويحرقهم اليوم الآتي «قال رب الجنود» (ملاخي ٤: ١). البعض يُهلكون كما في لحظة، بينما آخرون يتعذَّبون أيامًا طويلة، والجميع سيُعاقَبون حسب أعمالهم. الشيطان سوف يتألَّم لا لأجل عصيانه فحسب، بل لأجل كل الخطايا التي جعل شعب اللّٰه يرتكبونها. وسيكون قصاصه أرهب بكثير من قصاص الذين أضلَّهم. فبعد هلاك كل مَن غرَّر بهم، سيظلُّ حيًّا، وسيُقاسي الأهوال. يهلك الأشرار أخيرًا أصلاً وفرعًا في النار المُطهِّرة. الشيطان هو الأصل وأتباعه هم الفروع. استوفت عدالة اللّٰه. القديسون وجميع الملائكة يهتفون بصوت عال: آمين.

وإذ تلتفُّ الأرض في ردَاء من النار المُهلكة، يكون الأبرار ساكنين مُطمئنين في المدينة المُقدَّسةً. وأولئك الذين كَان لهم نصيب في القيامة الأولى، ليس للموت الثاني سلطان عليهم (رؤيا ٢٠: ٦). وفي حين أنَّ اللّٰه هو نار آكلة بالنسبة للأشرار، فإنه لشعبه شمس ومِجنٌّ (مزمور ٨٤: ١١).

الفصل ١٥

البداية الجديدة

«ثُمَّ رأيتُ سماءً جديدة وأرضًا جديدة، لأنَّ السماء الأولى والأرض الأولى مضتا، والبحر لا يوجد فيما بعد» (رؤيا ٢١: ١). إنَّ النار التي تحرق الأشرار تُطهِّر الأرض. وكل أثر من آثار اللعنة انمحى. لن يوجد نار جحيم أبدية لتُذكِّر الأبرار المفديين بعواقب الخطيئة المُرعبة. ويبقى مُذكِّرًا واحدًا، ذلك أنَّ فادينا سيظلُّ يحمل في جسده علاماتَ صلبه إلى الأبد. ففي رأسه الجريح، وجنبه ويديه ورجليه توجد الآثار الوحيدة للعمل القاسي الذي أحدثته الخطية.

«وأنت يا برج القطيع، أكمة بين صهيون، إليك يأتي، ويجيء الحُكم الأول» (ميخا ٤: ٨). إنَّ الملك الذي ضاع بفعلَ الخطية، ردَّه يسوع، والمفديون يملكونه معه. «الصدِّيقون يرثون الأرض ويسكنونها إلى الأبد» (مزمور ٣٧: ٢٩). إنَّ الخوف من جعل الميراث العتيد أن يبدو ماديًا أكثر من اللازم جعل كثيرين يُفسِّرون الحقائق التي تقودنا إلى اعتباره وطننا تفسيرًا روحيًا يفقدها معناها. لقد أكَّد المسيح لتلاميذه أنه ماض ليُعدَّ لهم منازل. فالذين يقبلون تعاليم كلمة اللّٰه لن يجهلوا جهلاً تامًّا ما يختص بالمسكن السماوي. ومع ذلك، فإنَّ الرسول بطرس يُعلن أنه: «ما لم ترى عين ولم تسمع أذن، ولم يخطر على بال إنسان، ما أعدَّه اللّٰه للذين يُحبُّونه» (١كورنثوس ٢: ٩). إنَّ لغة البشر قاصرة عن وصف مُكافأة الأبرار، ولن يعرفها إلا مَن يرونها. ولا يمكن لعقل محدود قاصر أن يُدرك مجد فردوس اللّٰه.

يُدعى ميراث المُخلَّصين في الكتاب المقدس «وطننا» (عبرانيين ١١: ١٤-١٦). هناك يقود الراعي السماوي قطيعه إلى ينابيع مياه حيَّة. وشجرة

الحياة تُعطي كل شهر ثمرها. وأوراق الشجرة لخدمة الأمم. يوجد هناك دائمًا أنهار جارية صافية ونقيَّة كالبلّور. وعلى جَوانبها أشجار تُلقي ظلالها الوَارفة على الطريق المُعدَّة لمفتدي الرب. هناك ترتفع السهول الفسيحة فتصير تلالاً آية من الجمال. وجبال اللّٰه تعلوا بقممها الشامخة. وفي تلك السهول الهادئة بجوار الينابيع الحيَّة، يجد شَعَب اللّٰه الذين ظلُّوا غُرباء تائهين أمدًا طويلاً، يجدون وطنًا ومسكنًا.

أورشليم الجديدة — هذه هي أورشليم الجديدة التي «لها مجد اللّٰه، نورها، ولمعانها شبه أكرم حجر يشب بلوري» (رؤيا ٢١: ١١). يقول الرب: «فابتهج بأورشليمَ وافرح بشعبي» (إشعياء ٦٥: ١٩). «هوذا مسكن اللّٰه مع الناس. وهو سيسكن معهم، وهم يكونون له شعبًا، واللّٰه نفسه يكون معهم، إلهًا لهم. وسيمسح اللّٰه كل دمعة من عيونهم، والموت لا يكون فيما بعد، ولا يكون حُزنٌ، ولا صُراخٌ، ولا وَجَعٌ فيما بعد، لأنَّ الامور الأولى قد مضت» (رؤيا ٢١: ٣، ٤).

في مدينة اللّٰه «لا يكون ليل هناك». لن يحتاج أو يرغب أحد إلى الراحة. لن يشعر أحد بالتَّعب من عمل إرادة اللّٰه وتقديم الحمد لاسمه. سنشعر دائمًا بنضارة الصباح، ولن نخشَ من انتهائها. «لا يحتاجون إلى سراج أو نور شمس، لأنَّ الرب الإله يُنير عليهم» (رؤيا ٢٢: ٥). سيكون هناك ضياء يفوق نور الشمس، ولكنه لن يُبهر الأبصار، ومع ذلك فهو يفوق نور مُنتصف النهار بما لا يُقاس. يغمَر مجد اللّٰه والخروف المدينة المُقدَّسة بنور لا يخبو. ويسير المفديون في مجد النهار الأبدي الذي لا شمس فيه.

«ولم أرَ فيها هيكلاً، لأنَّ الرَّبَّ اللّٰه القادر على كل شيء، هو والخروف هيكلها» (رؤيا ٢١: ٢٢). لشعب اللّٰه امتياز الشركة المُباحة مع الآب والابن. «فإننا ننظر الآن في مرآة، في لغز» (١كورنثوس ١٣: ١٢). إننا نرى انعكاسًا لصورة اللّٰه كما في مرآة في أعمال الطبيعة وفي معاملاته مع الناس، ولكننا حينئذ سنراه وجهًا لوجه من دون حجاب يحجب الرؤية. سنمثل في حضرته ونرى مجد وجهه.

هناك ستتأمل العقول الخالدة، بسرور لا يكل، في عجائب القوَّة الخالقة وفي أسرار المحبة الفادية. هناك، لا يوجد عدو قاس مُخادع ليُجرِّبنا كي ننسى اللّٰه. ستنمو وتتطوَّر كل قوى النَّفس. كل مهارة تَزداد قوَّة. تحصيل المعرفة لن يُتعب العقل، ولن يُرهق القوى. هناك، يُمكن تنفيذ أجلُّ المشاريع وتتحقق أسمى الرغائب وتُنَالَ أرفعَ المطامح. ومع ذلك تظهر ذُرى ليبلغها الإنسان، وعجائب جديدة ليعجب بها، وحقائق جديدة عليه ليدركها، وأغراض جديدة تتطلب بذل قوى العقل والنّفس والجّسد.

وإذ تمرُّ سنوات الأبدية، فستأتي بإعلانات أغنى وأمجد عن اللّٰه والمسيح. وإذ تتقدَّم المعرفة، كذلك ستزداد المحبة والوقار والسعادة. وكلما ازداد الناس معرفة عن اللّٰه، زاد إعجابهم بصفاته. وإذ يكشف يسوع أمامهم غِنى الفداء والأعمال العظيمة المُدهشة في الصراع العظيم مع الشيطان، فإنَّ قلوب المفديين ستختلج بتكريس أعمق. ويشتد حماسهم إذ يضربون على قيثاراتهم الذهبية، فتتحد ربوات ربوات وألوف ألوف من الأصوات في إنشاد أغنية الحمد العظيمة.

«وكلُّ خليقة مما في السماء وعلى الأرض وتحت الأرض وما على البحر، كل ما فيها سمعتها قائلة: للجالس على العرش وللخروف، البركة والكرامة والمجد والسلطان إلى أبد الآبدين» (رؤيا ٥: ١٣).

الخطية والخُطاة لا يوجدون فيما بعد. الكون كله صار نظيفًا. الصراع العظيم انتهى إلى الأبد.

كيف تردّى وتدهور عالمنا إلى هذا الحد؟ لماذا هناك معاناة؟ مِن أين جاء الشّرُ؟ وهل للشَّر مِن نهاية؟ إنَّ أسئلة مثل هذه تزعج الكثيرين. والعِلْم ليس لديه أجوبة على هذه الأسئلة، كما أن الفلسفة لديها العديد من الأجوبة المتضاربة. أين يمكن أنْ نجد الحقيقة؟

الكتابُ المُقدَّس يُقدِّم معلومات وحلولاً صمدت في وجه اختبار الزمن. واستناداً إلى ما وَرَدَ في الكتاب المقدس من أمور وأحداث، يُقدِّم كتاب «قصة الرجاء» لمحة عَمَّا يدور خلف ستار التاريخ. فهو يكشف عن أصل الشّر، وعن بعض الطرق التي بها تعامل الله مع الشّر في الماضي، والتدابير التي اتخذها اللهُ لحلِّ معضلة الشِّر بشكل نهائي وتام في المستقبل القريب.

إلن ج. هوايت هي مؤلفة لأكثر من ١٣٠ كتاباً، وقد تمَّ تجميع العديد من هذه الكُتُب ونشرها بالرجوع إلى ملف مخطوطاتها الثَّري. وقد تُرجِمَت أعمالها إلى أكثر من ١٥٠ لغة.

الشَّرْق الأَوْسَط
للنَّشْر